رواية

مصر مناخ لا يحتمل الحب

"نورخان"

فتوح شعبان

ا

إلى من يبحث عن أوجاع حقيقية تعيش بيننا وتسكن فينا على هيئة خيبات لا تنتهي هاأنذا بين يديه ....

مصر مناخ لا يحتمل الحب

"نورخان"

للمناقشة تواصل مع الكاتب من خلال حسابه على الفيس بوك ..

FB.fotoh shapan

إهداء

إلي عالم النسيان الذي أتودد إليه بهذه الخيبة لعلني أكون يوماً أحد ساداته ،

المقدمة

لمن أكتب ولماذا أكتب هل أكتب ليقرأ الناس كلامي فيعرفوا قصتي، فأصير شهيرًا أو أكتب من أجل منافع ومكاسب أم أتوسل بكلماتي قلبي ليكون بي رحيمًا ورفيقاً.

أم أكتب إليكِ ..أخاطبكِ،هل ما زال عندي أمل بعودتكِ إليّ يوماً من الأيام،قد يكون اليوم الذي تقرئين فيه كلماتي تأتين إليّ مدعية أنى أخطأت في وصفي لخِذلانكِ،، و أني قد بخست حبكِ ، فتأتين لتخبريني، بأنك أحببتِني أكثر مما أظن أنا..

لو أخبرتكِ أنني أنتظرك لأظهرت عدم احترامي وتقديري للواقع ..ولو أخبرتك أنني لم أعد أنتظرك أو سأتوقف يوماً عن أنتظارك فأكون خادعًا لقلب ينكوي سرًّا ويشتاق سرًّا ويحن سرًّا ويعلن الصمود والتحدي جهرًا ويشن حربًا ضروسًا ضد ضعفه وألمه وانكساره.

أقاتل بكل ما أوتيت من قوة أجري جريًا في طريقي مبتعدًا عنكِ، وحين أظن نجاتي وأغتر ،أجلس لأستريح لحظة أجدكِ أمامي كأني لم أفارقكِ أعوام،

وأدرك أنني كنت أهرب مني إليكِ وأنني في دائرة كلها تدور حولكِ أقطع أشواطًا في طريق النسيان وتأتي كلمة أو حركة أو طفلة اسمها على اسمك أو شخص اغتبناه أو امرأة نممنا عليها، أو مزحة أضحكتنا..والآن صارت تبكيني .. فأخر صريعًا بين أيدي الحنين ، أقف وأمسح دمعي و أواسيني وأقول،أدفع ثمن حبي لمن لا يستحق، حين يأتيني الشوق والحنين أغلق بابي وأبكي وحدي لا أتوسل أحداً يجفف دموعي، حين يغلبني ذلك الحنين إليكِ سأخبره أنكِ في أحضان غيري سأخبره أنكِ تستمتعين بعذابي، دعيني أخبركِ بسِرّ: "أشعر أني ذات يوم سأكرهك .

لا أعتقد أني أكتب لشيء مما سبق، فلا شيء منهم يستحق أن أكتب له ..ما يستحق أن أكتب من أجله هو ألمي ..هو عذابي ..هو غربتي وسط أهلي ..هو غربتي التي أحملها في داخلي ..أينما ذهبت رافقتني، فليست غربة مكان ولا زمان ولكنها غربة المشاعر ..أكتب لأرَقِي بالليل ..وغيابي عن الواقع بالنهار .. هروبي من نفسي ومن ذكرياتي ..عجزي أن أواجه أفكاري، هو ضعفي أمام حرف النون وانهياري أمام الواو بل موتي عندما يذكر اسمك ..هو ذلك الهاتف الذي يهتف باسمك داخلي ولا يهدأ لحظة ولا يستريح ..دائماً صارخ بصوت لا تقوى عليه أذناي ..ولا يتحمله قلبي ..لو رأيت أحدًا يهتف به لقتلته ..ولو أعرف مكاناً يذكر فيه دون الآخر لهجرته، ولو أعرف وجهة لا ينادى فيها باسمك لهاجرت إليها، ولكن أنت في كل مكان ..أنت في كل شيء ,في الأشياء

الصغيرة قبل الكبيرة ..في الفرح والحزن ..لم تتركي شيئاً إلا ولكِ أثرٌ عليه، لم تدعي شيئاً خالصًا لي وحدي، حتى صلاتي، حتى سجودي لربي ..أجدكِ تنتظرينني..

لو كنتِ امرأة تافهة أو عادية أو حتى تقليدية لنسيتها ومضيت في طريقى مسرعاً بعيداً عنكِ ولكنك شيئ لا يحدث في العمر سوي مرة واحدة. حين أجدني دون أن أدري قد تملكتنى فتاة رحلت عني،بلا عودة ، أجد نفسي عاشقًا لمن هجروني، عاشقًا لمن خدعوني ..فلا بد أن أكتب،قد لا تقرأ هي ..ولا يقرأ أحد..ولكن،لابد أن أكتب..

أستجمع ما تبقي مني وأواسي بعضي ببعضي وأحتضن قلمي أو يحتضنني هو لنخرج سويًّا علي أوراق وصفحات فصول تلك القصة التي لم أنسجها من خيالاتي ولم اخترلها بداية ولم احترلها خاتمة ..أولم تأتى لها خاتمة بعد ..فهناك قصص ترفض النهاية ..وتأبى الإنقضاء قبل القضاء علينا ،من ظن أنني كتبت أو أكتب هذه الرواية فهو واهم فالذي يقرأ بقلبه و بمشاعره وتجاربه سيعرف أن أمثال تلك الروايات تكتب أصحابها وكتبت قبلى الكثيرين وستكتب بعدى أكثر..حتى أصبح عندى عقيدة بأن خلف كل جدار أو باب مغلق عين تبكى وحدها، وقلب يحترق ويئن ،وروح تائهة ..وجسد منهك من مصاعب الحياة ومتاعبها ..وخداع الناس وخيانتهم ،وللأسف لا تجد فى هذه

الحالة إلا من يحمل قلباً طيباً وصادقاً ،فالقلب الكاذب لا يخدعه أحد ، تلك الرواية تكتبنى ولا أعرف متى ستشبع منى وتفرغ من كتابتى ،ولا أعرف متى ستكتب هذا الفصل الخاص بالبهجة..هذا الجزء الخاص، بتحقيق الأحلام ،وعدم الإخفاق ،يتسائل الكثيرون لماذا تصر على كتابتنا بصبغة درامية وتراجيدية !، ولكنهم لا يدركون أنهم من يجعلون من أنفسهم ، صفحات بيضاء ناصعة، معطين للحياة تصريحا مفتوحاًوغير مشروط لتكتب ما تريد،وتسطر ما تبغى ،ونحن نسير معها مكبلين الأيدى ..لا حول لنا ولا قوة ،تنال منا فى كل مرة ،نتعلق بشئ لا ننناله ،نربى حلماً يكون بيننا وبين تحقيقه خطوة واحده ،إن لم نؤخذ منه ..يؤخذ منا ،نتمسك ببعض الأمل فى من حولنا تثبت لنا الأيام أن الأمل ألم، .وأن الثقة أوبقة، وأن الأحلام أوهام، .وان المحبة مسبة ، .والعشق هلاك ،..والواقع مرير

كلنا نسير في طريق الحياة حتى وإن اختلفت ظروفنا، ولكن دربنا واحد وكلنا نتلقى الضربات إثر الضربات منها، ضربات موجعة، وأخري مؤلمة قليلًا، وهناك ضربات قاتلة، أما أصعبها هي تلك التي توشك على قتلنا وتفعل ما هو أصعب منه، وهو أن تبقينا على قيد الحياة نعاني أثرها وندفع لها الجزية سواء كنا نستحقها أم لا، هذه هي الضربة القاصمة ..القاصمة للظهور .. قاصمة للقلوب محطمة للآمال ومخيبة للرجاء، هذه هي الضربة التي يختلف ما بعدها عن ما قبلها في كل شيء ..يختلف الناس وتختلف أماكنهم في قلوبنا

ويختلف القلب نفسه وتختلف الأحاسيس وتختلف الألوان والأيام وتختلف الليالي فتصير حينها عبئًا على القلب، فالقلب بالنهار يلهوا وقد ينشغل في عمل أو صداقة أو قرابة وعائلة أو مصالح وغيرها من الملهيات، أما الليل ففيه تعلن الحروب داخل القلوب وتبدأ معارك يكون فيها القلب هو الخصم ويكون هو المعركة، تتصارع المشاعر ولا ينتصر أبدًا قلب دارت فيه إحدى تلك المعارك إلا بعد أن يذوب ويتضرر ويتلف إثر الصراع، وعند البحث عن الغنائم لا سوى دموع وأنين وتوجع وآهات ..لن يسمعها آحد ..ولن يدرى بها آحد سوانا ،

كل المعارك تنتهى يوماً ما ،حين يهزم طرف..أو ينسحب طرف ،أو يعلى رايات التسليم ..أما تلك المعارك داخل القلوب لا ينهيها شئ..حتى الهزيمة نفسها ،حتى حين تسلم لها ،تزيد فى إيلامك أكثر ،تحاول التفاوض وتتوسل لتعيش ،كن على يقين أن أخر من يشفق عليكَ وآخر من يساعدك هو قلبك الذى يتعلق بما لا تملكه.

قد أكتب لأنني لا أملك سوى الكتابة ..عندما أرى أنيابًا تنهش في لحم وطني .. وأنا عاجز عن أن أنزع أنيابهم من جسده ..أو أكتب لأنه السبيل الوحيد لكي أصرخ وأستعيث ..قد يقرأ لي أحرار آخرون مثلي ومنصفون يأبي كل فرد منهم أن يرى وطنه يئن من الظلم لقرون عديدة إما على يد محتل غاصب مخرب من الخارج، أو يشكو الوطن من ظلم أبنائه كما الآن، قد يقرؤه منصف يفكر خارج الصندوق لا يدخل في الصراع ويفكر، لا ينحاز لأحد الفريقين ثم يعبر .. فكل حزب قد تعصب لرأيه وكل اتجاه قد سن سهامه وأعلن العداوة على خصمه ..ولا يعرف كلاهما أنهما نسيج من الوطن، فحين يغرز أيهما سهامه في الآخر فهم يطعنون الوطن..

ليتهم يسمعون ويعرفون أن وطنهم الذي يصرخ ليل نهار لن يسامحهم على ما يفعلون من تفريق وتخوين واستباحة دماء..

لا بد أن يجتمع المنصفون ولا يستسلمون ..فلينشر العندليب وليغرد أناشيد الحرية ليل نهار ولا ينظر إلى أرض الواقع كثيراً، سيتغير يوماً ما وستجد أناشيده صداها.وليبدأ الفنان بريشته وليرسم ثم يرسم، فليرسم لنا وطنا كهذا الذى فى صدورنا وعقولنا واحلامنا وطموحنا ، ليس كهذا الذى نراه ..فليرسم وطنا لا نريده جنة ،لا نريد منه أكثر من أن يكون حقيقة

"وطن"وطن ..ابناءه دماءهم لها قيمة اذا ما قورنت بالمناصب ،وطن ..يعلم الجاهل ..يغنى الفقيرويعالج المريض ،

وأنا معكم ..لن أتوقف عن الكتابة إلا أن يحال بيني وبينها، إما بقطع يديّ بحجج فارغة تعرّض لها كل حرّ من قبل، أو بقطع أيامي على الأرض والوطن ..

* * * *

العشرينات من العمر ليست سوي ،أحلام أكثر ضائعة وأوجاع مضاعفة، تجاوزت العشرين ببضع سنين، ولم أفهم كثيراً من الأشياء من حولي ولم أدرك الحكمة وراء حدوثها، ..لم يجلس معي أحدهم يوماً يخبرني كيف أتعامل مع الحياة أو كيف أتعلم منها، لم يخبرنى أحدهم ..أن الإنجاز الحقيقى والأهم فى الحياة هو أن تعيشها .. صلباً. قوياً ..هادئاً

تركني الجميع في مواجهة الحياة وحدي، بل أحياناً يقف الجميع معها أيضاً ضدي، ودائماً المطلوب منك أن تتابع ذلك الصراع الذي لا ينتهي إلا بشيئين: أولهما الموت والثاني أن تستسلم لما تفعله الحياة بك وتعترف بعدم المقاومة وتعلن هزيمتك، وقتها فقط تفاجأ أنك تنتصر.

من تجاوز العشرين فجأة يجد نفسه أمام تساؤلات،هل هذا أنا ،الذي كان موجودًا ،واستطاع أن يعيش كل هذه الأعوام في هذه الحياة الغير واضحة

والتي لا يخفى على أحد غرابتها؟ ساعات صنعت أيامي وأيامي قضت على شهوري وشهوري أخذت مني كل هذه السنوات ومستمرة..

كيف مرّوا..أو كيف كنت، خلال أكثر من عشرة آلاف يوم؟؟

سعيدًا كنتُ أم حزينًا؟؟ لا أعرف.. كل ما أعرفه أنني بكيت كثيراً لدرجة جعلتنى أظن انه ما من يوم قد مر..ولم أبكى فيه ،وضحكت كثيراً حتى أني أظن أنه ما مرّ يوم دون أن أضحك، ولعبت كثيراً لدرجة أعتقد أني لم أفعل شيئاً سوى اللعب، واجتهدت وذاكرت أيضاً كثيراً، فحوالي خمسة عشر عامًا دراسيًّا مرّوا بنجاح تلو نجاح، فأظن.. أننى ما ضيعت يوماً دون أن أحصل شيئاً جديداً،

يبدو أنها غير كافية برغم كثرة ما فيها، لا أعرف المدة التى يحتاجها الشخص فوق العقدين والنصف من عمره ليشعر بنفسه يعيش، لتعنى كل لحظة من حياته أنه على قيد الحياة..أنه أنجز شيئاً..أو تقدم خطوة.

يشعر يزفيره وشهيقه..زفير يخرج منه كل ما لا يريد،يخرج منه حزنا ..يخرج منه كأبة.. توترا ، قلقا ،خوفا،حقدا،غلا وحسدا، كرها،كثير من المشاعر السلبية والعقد النفسية التى كثرت على القلب وحجبته ،منعته ،حتى من ان يحيا..

من منا لا يريده زفيراً إرادياً حتى يتمكن من تعبئته وتحميله بكل ما يريد الخلاص منه، كل ذلك الذى ينغص على القلب حياته،الذى يجعل الحياة هى التى تعيشنا لسنا نحن من نعيشها، وما أكثر ما نريد أن نتخلص منه بداخلنا.!!

وشهيق لم يأتى إليه يوم بنسيم حب ..أو عبير أمل غير محدود، أو فرح مكتمل دائم، الحاصل آلاف الأيام مرت ولم يجد ما يثقل حياته ، قد ينتظر فرحاً يصل به الى التحليق أو ينتظر أسفاً لم يحدث مثله،أو يبحث عن قلبه، المتقلب غير المستقر ، الباحث عن المتاعب دائماً، تارة مطمئن هادئ ، كأن الدنيا تم اختصارها فى لحظة.. أو فى شخص يملكه .وتارات أخرى ، يهرول هرولة المجنون، يستغيث غوث اللهفان ، يبحث ويفتش ويترقب وينظر وينبهر ويبالغ ويعجب ويتعلق ويتمنى ويتحسرويتأثر بكل شيئ حوله ويبالى كثيراً حتى لأتفه الأشياء ..قد يشغله طريقة ملبس أحدهم ،أو مسكنه .يميل الى جميلة ..عابرة تستحوذ على فكره لوقت ، قد يكون باحث عن الحب باحث عن العشق،مسكين لم يجرب ولم يعرف، يميل إلى سيارة فارهة،أو سكن رائع، أو يميل الى وظيفة مرموقة،أو مكان مشهور بين الناس، قلب مادى،لا يرغب أن يكون غنياً بذاته يوماً.

لطالما حلمت بحياة بطيئة تناسب سرعة إدراكي ، فالمراحل السابقة كل ما فعلته تجاهها هو التيه والشتات وكلما أوشكت على إدراك كل مرحلة أفاجأ أننى في مرحلة أخرى تحتاج لشخصية جديدة بأبعاد جديدة ، كطفل لم أكن أعرف ما ينبغى فعله لم أعرف أننى يجب أن ألعب أو أخطئ من حقى كطفل أن أخطئ دون أن يعاتبنى أحد ، وحين مرت فترة الطفولة بخوفها وغرابتها أدركت ذلك فبدأت بالخطأ في وقت ماكان ينبغى على فتيً في سني أن يخطئ ... حتى جاءت فترة الجامعة كنت وقتها لم أسافر من قبل ولم أغادر محيطاً محدوداً من حولى ، وركبت القطار كانت أهم فترة في يومى هى الوقت الذى أقضيه في الطريق ذهاباً وإياباً أحاول أن أفهم القطار ، أفهم هذا الشيء العجيب ، الذى يحتوي بداخله كل شيء يحمل أوجاع الناس وأفراحهم ، يحمل نجاحاتهم وفشلهم ، يحمل الناس بكل ألوانهم ، كان ينبغى أن لا أنظر إلى كل الناس في كل قطار أركبه لأنهم بلا نهاية وإنشغالى بهم لن ينفعنى ، كان أولى بى أن أنظر في داخلى وأحاول بناء شخصية قوية ثابتة صادقة لا تتأثر ولا تبالي وحين اكتشفت ذلك كانت مرحلة القطار قد انتهت وبدأت مرحلة أصعب تحتاج إلى صخور وليس مجرد بشر فأتوقع حدوث كل شيء وأؤمن بأن كل شيء وارد ، طبيعى جداً أن تحب حتى يشتكى الحب من فرط عشقك ويتمكن الحب من كل ذرة في جسدك وفجأة يحرمك من حبك هذا نفس الشخص الذى أحببته ، وارد جداً أن تخان وارد جداً أن

يغدر بك ، وارد جداً ضياع الأحلام، وارد جداً فقد الأحباب ، وارد جداً خيانة العشاق ، وارد جداً خيانة الاوطان ، وارد جداً قتل المنصفين وارد جداً أن يحدث المستحيل.

"الأيام حاملة ويعلم الله ماذا ستلد"..

*** * * * ***

"وانا اخترت العزلة "

فى حجرة بعيدة عن كل شيء يتمدد جسدى النحيل المتعب المحمل بخيبات كثيرة تغرقنى من رأسي حتى قدماي ، هنا أتوسد كل ليلة وحدتى

وأنام، أنام دون أن أحلم دون أن أنتظر الصباح دون أن أنتظر شيئاً ،

غالبا لا نستيقظ من النوم سعداء ..لأننا نعرف فى أعماقنا أننا على وشك تكرار شيء يحدث كل يوم ..فلا يوجد فى مخططاتنا يوماً ما أن نستيقظ لنحدث الفارق ونغير العالم نحن فقط ننام لنستيقظ ، ونستيقظ لنرهق انفسنا بسفاسف الامور حنى ننام ثانية.

قد أستيقظ يوماً ما قبل أن يفكر المنبه فى ايقاظي وذلك عندما أعرف أن النوم يحول بينى وبين عمل أحبه ، ويمنعنى من أن أضيف شيئاً جديدا وفريدا للعالم من حولي ..أو أن اكون جزءا مهما فى الكون تصل أهميته الى أن كل شيء سيفتقدنى إن اختفيت أو حتى لم أفارق سريري لايام ،

أزيل تلك الأغطية من على رأسي وأبذل أول محاولة فاشلة فى فتح عينى

هذا بالتأكيد تدرج الكسالى والبائسين ولا أراه دائماً هكذا فقد يكون ذلك احساس وتساؤل من داخل كل انسان لم يجد ما يبحث عنه بعد ، لم يحدد

له الكون الدور العظيم الذى عليه القيام به ، لم يكتشف نفسه بعد ، لم يتعرف حتى على طبيعة الأشياء وحكمتها ومعانيها ..هو لم يولد ليعطي نسخة من يوم ما يكرره كل يوم لفترات ومراحل طويلة من حياته ، نسخة كطالب ، نسخة وظيفة نسخة كزوج نسخة كأب نسخة ككهل ثم شيخ كبير ان قدر ثم نسخة تحت التراب يعلم خالقه بها ،

أستيقظ فى صومعتي التى لم يتغير حالها منذ بنيتها أنا وأمى على سطح منزلنا ، لم أعد أسمح لتلك الأشياء التى تأخذ من روحي أن ترافقنى لا يوجد هنا تلفاز أو حاسوب ولا هاتف ولا حتى مذياع .

الآن لم أعد أحتاج إلي سرعة إدراك، ولا إلى حتى لحظات تركيز ، لم أعد أسابق أحلام سبقتنى دوماً، ولم أعد أسعى لتحقيق طموح يحال دوماً بيننا بكل شيء حتى نفسي !!

تساوي بقاء الأشخاص برحيلهم، فليبق من يبق وليرحل من يرحل ، فقد رحل عنى من كنت أهتم ببقائهم فهناك أشخاص حين يرحلون عنك ، بمقدار الوجع الذى يتركونه يتركون لك مناعة ضد أى رحيل بعدهم،

عندما تري كل شيئ حولك قد تحول إلى خيبة ماذا ستفعل عندما يمطر الناس والأشياء عليك وجعاً ، عينيك تري وجعاً،أذنك تسمع وجعاً، صدرك يتنفس وجعاً، قلبك ينبض وجعاً ،وطن وجع، حب وجع، غربة

وجع، قرب وجع ، بعد وجع ، يختار البعض الصدام والبعض يختار آخرون الكلام والصراخ، وأنا اخترت أحب الأشياء إلى قلبى ،إخترت العزلة والكتب

طلبت من أمي أن نبني هذه الصومعة لتكون عالمي الصغير بعيداً عن القبح والحماقة التى أحاطت بنا في كل مكان، نجحت أخيراً في اختيار شيئاً في حياتى دون أن تجبرنى عليه الأيام أو هكذا أظن أنا ، لعلها أرادت ذلك وقصدته ، لعل أيامى قد تعبت منى أنا واكتفت من هراءي الذي أبثه أينما حللت، أي شخص هذا الذي يبحث عن النموذجية في كل شيء وهو عاجز حتى أن يرتب سريره، ضجت مني ففرشت طريقى بكل هذه الخيبات حتى ألجأ إلي العزلة، صممت أن أبني صومعتي بنفسي ولم يساعدنى سوى أمى ، التي خيبت ظنونها، أكملت الجامعة ولم أبحث عن عمل ولم أحاول أن أفعل ، أصدقائي بحثوا عن شغل مؤقت حتى ولو كان بعيداً عن مجال دراستهم تماماً

لم أشارك في هذه المسرحية الهزلية ، فلم أفعل ولو بشكل مؤقت .. هذه الكلمة كذبة قتل بها وطن ، كيف يكون الأمر مؤقتاً وهو مستمر منذ أجيال قضت عمرها كله في زيف وخديعة واستبداد بداعى الاستقرار ووضع الطوارئ المؤقت .

. لم أجلس على المقهى، بل اكتفيت بالمكوث في غرفة لا أنزل منها إلا لأتناول الطعام لو تذكرت ذلك أو لأذهب إلى المسجد فهو المكان الوحيد تقريباً

الذي لم أنقطع عنه ، في المسجد دائماً ما تكون الأمور على ما يرام، أشعر فيه بالمحبة المفقودة والبسمة الضائعة والود الغير مصطنع ، قد يغلب العبوس على الوجوه في كل الأماكن إلا المسجد..

نظرة واحدة لكبار السن الذين لزموا المساجد، تعطيك حكمة يلزمك سنوات لتكتسبها، للأمر قصة خيبة ، مدتها عمر هؤلاء الذين تصارعوا مع الدنيا في مراهقتهم وشبابهم وكهولتهم ، وأرادوا أن يمتلكوها فملكتهم هى وغلبتهم وقلما وافق زمانهم أهواءهم حتى استسلموا وسلموا وتركوا صراعهم والتزمو المساجد، فملكوا الدنيا دون أن يقصدوا فلم يعد هناك أحلام قد يؤذيهم ضياعها ولم يعد هناك أمل فيها فقط نسوا ما قد مضي وزهدوا في ما هو آت فارتاحت أنفسهم .

الضحك لغة عالمية والعبوس لغة مصرية، متجهمين في كل مكان ..في المواصلات لا يضحكون في الأماكن العامة لا يتمهلون في الطرقات يتسابقون في الجامعات يُطحنون جداً أو تفاهة ، فقط في المسجد يبتسم الناس ولعل ذلك من علامات نهاية الدنيا ،

أو لعل ذلك فقط هنا في أم الدنيا بعد ما عاش الناس ستة أعوام لم يتخيلها أحد ولم يتوقعها فلك ، كل منصف هنا قد خسر شيئاً وكل فاسد كسب

شيئاً بالمقابل ، ابن قتل حين نزل يهتف لوطنه وآخر قتل حين ارتدى زياً عسكرياً ونزل ليحمي نفس الوطن الكل هنا جرحي والكل هنا مكلوم والكل هنا لم يعد يبتسم !!

اكتفيت من الأذي وأكتفيت من التربص ، واكتفيت من الإنتظار، أخرجت من دائرتي كل شيء قد يرهقنى أو يفسد على ذهنى صفاءه ، لم أختر عزلتى عجزاً ولكننى اخترتها تعباً ، فهي ذالك الجزء الصغير من حياتى لجأت إليهِ حين أرهقنى كل شيء فما جنت نفسي من البشر سوي خيبات متراكمة وما كسبت روحى الا شوائبهم وزيفهم وكذبهم..

بحثت عن الحب في مناخ لا يحتمل الحب ، بحثت عن الصدق في أجواء ملأها ضجيج الكذب ، حاولت أن أحلم بوطن لم أكن أعرف أن الحمقى والظلمة هم الأفواه المسموعة فيه لم أكن أعرف أن الحلم محرم على من لا إرادة له، مسموح هنا بالقبح والعهر بينما لا يسمح هنا بالحلم، فأحلام الشباب هنا أصبحت تمثل خطراًعلى استقرار الدولة ، حقاً الدولة التي تؤذيها الأحلام دولة هشة

لكل حلم ضاع مني فائدة، أكسبني صلابة ضد الفقد ، الأحلام التي فقدتها في هذه السنوات كفيلة أن لا أشعر بالفقد بعد الآن بالفعل وصلت الخسارات إلى حد ليس بعده خساره، أكسبتنى تلك الأعوام مناعة وزهداً فلم تعد

دائرة إهتماماتى كما كانت من قبل بل أصبحت ضيقة بما لا يناسب حياة شاب في العشرينات من عمره . ،

لم أعد أفتح عقلى لهؤلاء الحمقي ليبصقوا فيه جهلهم وكذبهم لم أعد أقرأ أخبارهم ولا أشاهد جديدهم ..لا يهمنى ما هو تاريخ اليوم ولا الأمس ولا الغد الأيام كلها متشابهة أنتظر يوماً واحداً كل شهر أذهب فيه إلى المكتبة لأقتات كتبى فكما يؤمن رب البيت قوت أهله من الطعام أنا أؤمن قوتى من الكتب كل شهر ..حتى أن الكتب لم تترك لى سوي جزء من سريري وكرسي أجلس عليه ،ستضطرنى هذه الكتب يوماً أن أوسع صومعتي أو أن أبيع سريرى، ولكنها نزهتي الوحيدة أقضي جل وقتي متجولاً داخل عقل كل من اقرأ له ، وجولاتي المفضلة تكون داخل قلوب العشاق بقراءة تجاربهم ، وأمر أحياناً على خيبات البعض وأتلصص على انكساراتهم، فأعزي خيبتى بهم .

اتفقت مع أمى ..أنه غير مسموح لأحد بأن يصعد إلي حتى هي إذا أرادت شيئاً تنتظر نزولى وإن لم أنزل يوماً يؤجل ما تريده مني لليوم التالى .. أشعر أحياناً أني مقصر في حقها فبعد زواج أختى ووفاة أبي وبناء صومعتي أصبحت وحدها تماماً

منذ سنوات قليلة كان هذا البيت مليئ بالأشخاص وخالياً من الخيبات لم تكن هناك صومعة لم أكن قد دخلت نادي اليتم بعد ، ولم تكن أختى قد

تزوجت ولم تكن قصة حبى قد اغتيلت ، الخيبات لا تأتى منفردة أبداً بل تتساقط كحبات العقد .

تنتابنى أمنية غريبة، لو قام أبى من قبره ثانية واحدة أعتذر إليه فيها فأنا لم أكن على قدر وصاياه، أوصانى أن أجعل الأمور كلها على ما يرام ولم تكن، أوصانى أن أفرح دائماً ولا أسمح للحزن أن يعتالنى ولم أفعل، معذرة يا أبي هناك ما هو أشد وجعاً من الحزن .

كنت تضع يدك على كتف أختى وتخبرها أي طفلتي إن وجدتى حبا كهذا الذي أحببته لكِ فأحبى أما غير ذلك فزيف وكذب ، وأين لنا بحب كحبك با أبتاه ، أين لنا بأشخاص يحبونا حتى كما يحبون أنفسهم نفتقد وجود أشخاص يكرهون لنا الوجع.

برغم أن أبى هو الشخص الوحيد الذى أفتقده كل لحظة وأنه يسكن تحت التراب إلي أننى عجزت أن أقدم له رثاءاً ، ولم أكتب كلمة عن وفاته ولم أبكه كثيراً، أصابتنى صدمة فراقه بالصمت والعجز حتى عن البكاء ،أبكيه فقط من داخلى، عسي عينى ما تبكيك يا أبا حفص، عسي قلبى ما يبكيك ياأبا عمر ، سمانى "عمر عمر" حين سألته عن السبب وضع يده الحنونة على رأسي ورمقنى بنظرة كانت تحمل الإجابة الكافية فلم اسأله بعدها ، لا أحب فراق شيء تعودت عليه ولكن الحياة تقتلنا بكل الأساليب الشرعية و غير

الشرعية ، على المرء أن يألف الوحدة ويستعد لها فهي الرفيق الجاهز دائماً يأتيك مهما بلغ عدد الذين يحيطون بك

* * * *

قاطع تفكيري هذا حين طرق أحدهم باب صومعتي ، وقفت مذهولاً فلم يحدث ذلك منذ بنيتها بالتأكيد حدث شيئ لا يحتمل الإنتظار جعل أمي لم تفى بما اتفقنا عليه ..سألت :

- من الطارق ؟

سمعت أحدهم يقول :

- افتح، صديق جاء لزيارتك ..

-- ، إنه عمر زميلى في الجامعة، وصديقى المقرب ، يحدث أحياناً أن تمتلك صديقاً قريباً جداً من روحك، صديق يسكن هذا الجزء النقي داخل القلب ، هذا الجزء الخاص بالمعانى الجميلة، بالمحبة دون امتلاك بالإشتياق دون نزوة ، بالقرب دون تجاوز، بالبساطة دون تجريح، إنه الحب الحميد الذي لا يؤذي، حب الأصدقاء، وبرغم كل ذلك لا أجد مبرراً، يجعل أمي تسمح له بالصعود ، فأنا لم أستثنى من قرارى أحداً وكأنه سمعنى ، فقال :

-لقد ألححت على والدتك بالأسفل لأقابلك ولم توافق إلا بعد أن أعطيتها وعداً ..أرجو أن أفي به ،

نظرت له باستغراب وقلت :

-وعدتها بماذا ؟؟

وعدتها أن أجعلك تخرج معي وتترك عزلتك هذه !!!

ابتسمت له وقلت :

-وصدقت كلامك !!!

فقال بثقة

–ولم لا،!! فأنا سأفعل !!

عجباً..من أين جاء بهذه الثقة !!! ولكنى لم أتجادل معه اكتفيت بالصمت كعادتي عندما أعجزعن اعتزال شيئ لا يعجنى أكتفى بالصمت

ثم جلب كرسياً بعد أن أزاح الكتب التي كانت تغطيه، كنت قد نسيت أن هناك كرسياً غير الذي أجلس عليه ثم قال :

- كنت تعد لعزلتك حين كنت تردد قولتك أو أستطيع تسميتها مبدأك !!

قلت له مستغرباً

- أية قولة تقصد؟

" إياكَ أن تحادثني مللاً حادثني اشتياقاً أو ابتعد وارجع حين تشتاق لم أرد .. كيف أدافع عن عزلتى أمام شخص لا يؤمن بضعفي، أعرف

صديقى جيداً لطالما كان عقله هو الآمر والناهى في حياته فكان قليل التعب ، لا تحكي حزنك لمن يستمع إليكَ بعقله فقط ،

"بعد نظرة غلبها الإشفاق على علي حالى ، تفحص فيها كتبي و ما حولها من أربعة جدران ذات لون قاتم وحزين فيهما باب واحد صغير ولا تحتوى على أية شبابيك حتى ولو صغيرة

قال مازحاً:

-يبدو أنك قد تزوجت من هذه الكتب !

قلت:

-الكتب لا تتزوج من أحد الكتب، تمتلك من يتعلق بها ..

قال بدهاء..

-رائع كنت أخاف أن تكون قد تزوجت بإحدي الروايات !!

- ولماذا تخاف من زواجى منها؟؟

- لأننى أريدك أن تتزوج من أخري ، ما رأيك ؟؟

ضحكت على كلامه وقلت :

-أتقصد رواية جديدة أحضرتها معك ، قال :

-إنها ليست رواية جديدة ولكن تشبهه الرواية، إنها امرأة!!

قلت :

- النساء لا تشبه الروايات أبداً فالرواية ياصديقى قد تختلف نهايتها ..وغالبا ما يختار الكاتب نهاية تسعد القارئ ، حتى يتقي غضبه من روايته ..أما النساء فلا يملكون سوي النهايات الأليمة!!

قال:

-لو خلافنا عن النهاية فالنساء كلهن روايات ، تختلف نهايتهن ، فلا يوجد امرأة تشبه الأخرى أبداً ، ولكن ما يهمنى الآن ،أن أعرف ما المانع أن تتزوج وتحظي بشريكة في الحياة .

سكت قليلاً ثم سألته

- يتأخر البعض في الزواج وأنا منهم هل تعرف لماذا ؟؟

-لماذا ؟؟؟

لأانهم غير مستعدين للمغامرة بعد !!

-أي مغامرة؟؟

-مغامرة الإرتباط بشخص قد يخذل وقد يخون وقد يكذب وهم أيضاً في غني عن حياة خالية من الشغف ؟؟

سكت وهلة ثم قال متحدياً كلامي :

- وهم أيضاً فاتتهم مغامرة جميلة !!

قلت بدهشة :

-أي مغامرة ؟؟

-مغامرة الإرتباط بشخص قد يصدق وقد يعشق وقد يسعد وقد يجعل الحياة مليئة بالشغف ..

-ولكن ..هذه مقامرة وليست مغامرة .. !!

وتابعت

الزواج في هذه الحالة مقامرة مزدوجة يقامر فيها كل من الرجل والمرأة على جنة الآخر ويخشي جحيمه

-اعتبره مقامرة مضمونة نكسب بها الاستقرار،

قلت :

-الاستقرار، تعرف جيدا أن هذه الكلمة تناسب الدول وتوصف بها البلاد فتكون كذبة يضحك بها على الشعوب ..ولكن لا توصف بها قلوب ونفوس البشر فقلوب البشر لم تخلق لتستقر، فالحب والارتباط يخلصنا من تيه وشتات ليوقعنا في تيه وشتات اكبر ..نوهم انفسنا انه بطعم الاستقرار!!!!

ناهيك عن النكبات الوارد حدوثها ،

قال لى مستغرباً

أي نكبات هذه ..

-نكبة الرجل في امرآته أو العكس فتكون نكبة الرجل الحقيقة امرأة نكدية ثرثارة ،ونكبة المرأة..رجل لا يفهمها ، ولا يشعر بها وصدقنى إذا ما أحب الرجل المرأة لن يشعر بها ، ولن يفهمها ،بل سيتحول إلي كائن عديم الإحساس،

قاطعني وهو يضحك قائلاً :

-هل لك أن تخرج من أوراقك قليلا وتعفيني من هذه المحاضرة ، عمر أما تعبت من عزلتك، كنا نتعلم منك المواجهة،لماذا أصبحت من متقنى الهروب فجأة؟؟

نظرت إلى عينه جيدا في محاولة صامتة منى لشرح أسباب عزلتى،كنت أتمنى أن يري التعب في عينى من كل شيء، وأن تحدثه خيباتي بدلاً منى ولكنه لم ينصت جيداً

سكت قليلاً ومد يده واختطف كتاباً أمامى على المكتب ، واضح أننى أعيش معه هذه الفترة، هذا الكتاب الذى يحمله القارئ معه في المواصلات أو يضعه أمامه على مكتبه أو يرافقه في عمله أو جامعته ليس إلا صديق مقرب ، حالة نعيشها، قصة نكون نحن أبطالها، من أوله حتى صفحات الوداع في نهايته.

أمسك في يده الكتاب ونظر إلى عينى اللتى اتسعت فجأة بمجرد أن وقع الكتاب في يده، زادته الطريقة التى نظرت إليه بها فضولاً، ليعرف محتوى الكتاب فقرأ العنوان "كيف تكتب رواية " واستئذننى أن يفتحه ولكنه لم ينتظر رفضي بل فتحه سريعاً هو ، داخل هذه الكتاب هناك أوراق كتبتها أنا بخط يدي ، فكان يتعمد أن يتجاهل محتوي الكتاب و يتلصص على ما كتبته في هذه الوريقات !!

في أول ورقة قرأ ..

"إذا أردت أن تشفي من حب أحدهم فاكتبه في رواية "

رمقنى بدهشة ،

ثم تابع التصفح حتى قرأ في الصفحة التالية..

سأكتبكِ في رواية، وسيكرهكِ كل من قرأها، إلا أنا ..

رمقني بنظرة أشد دهشة من الأولى ..وبينما أنا أنتظر أن يخبرنى سر دهشته ، أكمل هو تجوله في الكتاب إلي أن وجد ورقة مكتوب فيها ، لابد أن تحدد إسم روايتك ،يليها بعض الفراغات والتي أكملتها أنا بخطي "رواية نورخان " وبين قوسين مكتوب "مصر مناخ لا يحتمل الحب"

لم ينظر لى بذهول هذه المرة يبدو أنه أكتشف بنفسه سر دهشته ثم قال ،

- بدأت أدرك السر خلف عزلتك الآن، أنت تعكف على تدوين حبك في رواية من تأليفك ، تريد أن تشفى من عشقك ، في هذه الرواية تجهز المشانق لتقضي علي خيباتك !!

وبعد ابتسامة من اكتشف شيئاً غامضاً قال :

يبدو أننا سنتفق كثيراً ، فما جئت إلى لأدعمك في ذلك !!!

شعرت بالإرتباك ، كيف لبضعة أسطر أن تفضحني هكذا ، أن تكشفنى وتعرينى أمامه ..قرأ خمسة أسطر رافقنى بهم خمس سنوات من عمرى .

منذ صغري وأنا لا أحب أن يري أحد ما أكتب ، ولا ما أقرأ ، فقد قيل لا تدع أحدا ينظر على كتبك أو إلي صيدلية منزلك !!

لأنه سيعرف بذلك علل جسدك ومتاعب روحك ، أي انه سيخترقك

حاولت المراوغة وقلت :

-وما أدراك ، لعلها رواية من خيالي أريد أن أدخل بها في عالم الأدب ،

قال

-هيهات، أنت لا تريد أن تدخل بروايتك عالم الأدب ..أنت تريد أن تدخل عالم النسيان ، تريد ان تقضي عليها وتحولها من امراة ليس لها وجود إلا في ذاكرتك وتعبث بذكرياتك وحدك إلي امرأة في رواية تعبث قصتها في عقل كل من قرأها ..تريد أن ينوب عنك أخرون في الدعاء عليها .ولعن خيانتها لك،

وأعرف أن روايتك لن تحتوي سوي خيباتك وانكساراتك !!

نظرت له بيأس وقلت :

-لماذا تحاصرني ولا تفسح المجال حتى "لأكذب عليك !!! "

قال:

-حسناً ياعمر اعتبرنى الآن أول من يسأل عن روايتك المنتظرة ..أخبرنى الآن لماذا قد يحتاج أحدهم إلي ان يقرأها يوماً ما ، وما الهدف وراء هذا الاسم "مصر مناخ لا يحتمل الحب "أو "نورخان

وقبل أن أتكلم تابع هو كلامه كمن اكتشف شيئاً جديداً..

" هل أنت في حيرة من أمرك ، لا تعرف لمن فيهما تحمل أوزار خيباتك ، أتحمله لمصر ،وتنفي التهمة عنها، أم توقع عليها وزر خيانتها كاملاً وتسميها "نور خان اسمها نور هان ، أذكرها جيدا حكيت لنا عنها الكثير من السعادة بها ولكنكك لم تخبرنا بخيباتك فيها ، والتي أدت إلى عزلتك ،

فقلت له محاولاً نفى البعد الشخصي عن ما اكتب :

- يا صديقى، خيباتنا متشابهة وقصصنا مكررة، نفس الوجع يتقاسمه جيلنا، وجعنا في وطن ، ووجعنا في حب ،يتعثر دائماً كل قلب صادق فينا بقلب لا يعرف طريق الإخلاص

ولعل شخص يقرأ روايتي كان يتمني العشق وينتظره ..فيصبح بعدها كلما رأي رجلاً مبتلي بالعشق قال "الحمد لله الذي عافانى مما ابتلاه به "

قاطعني قائلاً

-تمهل ياصديقي ، تلعن في الحب وتلعن في الزواج ..ماذا تريد من البشر، لا يبقى طريقاً آخر سوي الرهبنة !!!!

قلت ،

- أريد فقط أن...

سكت

وقلت مرة اخرى

- نحن نريد ....

لقد صدمنى السؤال وبدأ يكشفنى ويعرينى، ولكني لم أسال نفسي يوماً هذا السؤال !!

قال هو مستغلاً تعثري قى الكلام ..

- هذه هى المشكلة ، أنت لا تعرف ماذا تريد،قد تكون بداخلك لا تريد أن تتمني شيئاً، أصبح التمنى عندك شيئاً موجعاً ، وهذا يا صديقى ما يفعله النعام يغمسون روؤسهم في الرمال تعتقد نفسك بهذا لن يفترسك شيئاً ولكنك لا تعي أن غيرك يهزم ولكنه يقاتل أما أنت تهزم أيضاً دون مقاومة ...

ضحكت بسخرية وقلت

- طالما النتيجة في النهاية "الهزيمة " لماذا أقاوم

قال يثبات :

- نحن نقاوم لأننا أحياء ، بالتأكيد تعرف أسطورة الملاكمة "محمد على كلاي" فهل تعرف لماذا كان ينتصروبأي شيء تفوق عن الآخرين ..

أجاب نفسه بنفسه قائلاً:

لأنه كان يتحمل ضربات أكثر ، لا ينكسر مهما كان عدد الضربات التى كان يتلقاها.. وأنت مجرد شاب في العشرينات ومعركة الحياة طويلة وشر هزيمة فيها أن تجلس هنا تنتظر الموت !!

جعلنى الوجع من كلامه ابتسم، فلست بحاجة لأن أحكي لك عن وجعى شيئاً ولا أريد ان أعطى تبريراً لما أنا فيه، ولكن أخبرنى ما المطلوب منى أن أفعل أحمل سلاحاً وأخرج لأقاتل كل شيئ أوجعنى، سأقاتل كل الدنيا ....

- لا لا تقاتل أحداً ولا تصارع أحداً، إن وجدت باباً في الحياة قد سد أمامك فلتبحث عن باب آخر لا تجلس أمام الباب المغلق تبكيه باقى حياتك وهذا ما جئت لك من أجله

- ماذا تقصد ؟؟

- أقصد باباً آخر تلتمس فيه الحياة، لقد رتبت لك موعدا مع أسرة لتري عروس عندهم ، فلتذهب إليهم ، إذا أحببتها تزوجها ..

ابتسمت لقولته وقلت ، وكأن الحب أصبح زراً نضغط عليه لنحب ونضغط عليه لنتوقف عن الحب ..

وتابعت بعدما أطرقت برهة من الوقت

-أتزوج !!! هههه

- نعم تتزوج .. ولم لا .. لقد رتبت لك هذا الموعد واخترت من أظنها تناسبك !!

- هل جننت أم أنك تمزح معي.. كيف فعلت ذلك دون أن تخبرنى ، وما أدراك أنى لن أرجعك خائباً..

قال بهدوء :

-لا ..لا أمزح بالفعل لقد رتبت لك الموعد ، وهو الليلة !!!

-أنظرله بكامل دهشتى وأسأله بتوسل

-يا صديقى ..أيبدوا علي وجهي أنني بحاجة إلى خيبات أخري ؟؟؟

-عمر ، اسمعني جيداً تلك المرحلة تنتظرك يوماًما حتي وإن تأجلت كثيراً فستأتي، مرحلة البحث عن رفيقة، البحث عن زوجة، البحث عن أم للأولاد .. ليس في السياق أبداً البحث عن حبيبة أو البحث عن عشيقة إنه فقط البحث عن شريكة !

ثم تابع كلامه :

- ستأتي معى لأنك بالتأكيد تحتاج إلي روايات قادمة روايات لها نهاية سعيدة ..ولكي تجد المرأة المناسبة لا تذهب لتتزوج من إحداهن وأنت تبحث عن الحب فهذا لا يحدث، فقط ابحث عن الحياة الهادئة، الخالية من

الخيبات..

"أصبحنا نربط الحب والشغف بالخيبات والصدمات، هل أصبحت الحياة الهادئة هى الحياة التى لا يبحث أصحابها عن الحب ولا تلهث قلوبهم خلفه ولا ينتظرونه"

هم أن يغادرولكن قبل ذلك قال الجملة التي حسمت هذا الجدال لصالحه:

- عمر.. بالتأكيد والدك لو بعث من مرقده الآن لن يرضيه هذه العزلة التي تهرب فيها من ممارسة الحياة ، أنت بذلك تحزنه كثيراً
-"نظرت إليه بعد إن إغرورقت عيناي بالدموع ... وضع يده على كتفى وقال
-لا عليك ، سأمر عليك في التاسعة مساءاً ، استعد ياصديقى، زمن الخيبات قد انتهى ...

" لماذا ذكر عمر أبى وأراده أن يكون الشيء الأخير الذى يعلق في ذهنى بعد رحيله ، هل يدعى بذلك أنه يعرف نقاط ضعفى ، لعله لم يقصد شيئا هو فقط أراد أن يحاصرنى بكل شيء له تأثير على ، فبدأ ذلك بالحديث عن الزواج وأهميته لأى شاب ، والكتابة وأهميتها لأى كاتب ، وأغلى الناس يرقد تحت التراب ، هناك تاراً بينى وبين الموت حين أخذ أبى ، دق الفقد طبول الحرب ، وفك عقدة الخيبات لتتساقط متتالية وينهمر نزيف الجراحات دون هوادة ، قبل فقدان أبى لم أعرف يوماًما معنى أن تتوجع وجعاً يفوق الموت،

الحياة ليست أنفاس ولا مأكل ولا مشرب ولا منكح، الحياة أشخاص يعيشون حولنا اعتدنا عليهم واعتادو علينا ، يعيشون همومنا ونعيش همومهم ، الحياة هؤلاء الأشخاص وليس غيرهم ، نعرف ذلك حين نسلب منهم أو يسلبون منا ، ونصبح وحيدين في منتصف طريق مظلم ومخيف . أحيانا لا نبالى بالسعادة أو امتلاك الأشياء ولكننا نضطر لذلك ونحاول أن نبدوا سعداء ليس من أجلنا ولكن من أجل قلوب يسعدها سعادتنا ويؤلمها إخفاقنا وتتعذب بوجعنا ، أردت أن أخبر صديقى الآن أنه نجح بالفعل في محاصرتى ولم يترك لى فرصة حتى لأرفض لكنه استغل لحظة شرودى وخرج لم أنتبه سوي لصوت الباب يغلق .

ويبدوا أنه لم يخرج خالي اليدين فحين وقعت عينى على الرف بجوار الباب والذى وضعت عليه مسودة مشروع روايتى" نورخان" لم أجدها، نزلت ألهث خلفه لكنى لم ألحق به.

صديقى رواية أم رواية صديقى!!

أنا عمر المصري صديق ل "عمر عمر هاشم " طوال الأربع سنوات في كلية الإعلام ، أختلف عنه كلياً فأنا تكمن معاناتي في أننى لا أعانى، لا أتأثر كثيراً بما يحدث قد أكون أقل ذكاءاً من عمر ولكننى أكثر منه راحة واستمتاعاً بحياتي لا أأخذ الأمور بجدية أبداً حتى الموت والحب أسير دائماً في منتصف الطريق ، لم أنجرف وراء هذه الدعاوي التى تحيط بنا من كل ناحية ، كل قلم وكل شاشة وكل ورقة تقرأها تخبرك أنك إذا لم تقع في الحب فأنت شخص معقد وغير طبيعي ، لم أسعى يوماً خلف العشق ولم أطلبه ولم أشعر أن حياتى ينقصها شيئاً، عكس ما يدعون تماماً ،أكد لى ما أراه حولى أن ما أعتقده صحيحاً حيث انقسمت أعين البشر إلى نوعين عين تبكى دائماً حتى ولو لم تفضحها دموعها، وهذه بالتأكيد عين عاشق ، وعين أخري لامعة مشرقة دائماً وهذه بالتأكيد,عين.عاقل

.

كان "عمر" قبل عزلته شخصاً مميزاً ، دائماً ما كان يفكر خارج الصندوق .. له نظرة مختلفة على كل شيئ ، منذ تخرجنا .. لم أقابله ، اشتغلت في جريدة غير مشهورة ولكنها كبداية حياة صحفية ، تبدو جيدة ، حاولت أن أصل إلى عمر لأخبره بأن هناك مكان فارغ هنا في الجريدة، قال لى:

-في العمل الفارغ دائماً ما يكون هناك مكان فارغ ...

تعرض للتحقيق مرة من المرات من قبل إدارة الجامعة وأوشكوا على فصله بسبب مقالة لم يتجاوز حجمها الثلاثة أسطر كتب فيها :

"العسكر والآخرون كاثنين من الإخوة كل ما يملكانه عنزة صغيرة وحمار ولا يزالون يتصارعون على من يركب الحمار ومن يسوق العنزة ، نريد "شيئاً" يستحق المنافسة على قيادته!!!

كان يري أنني سأكون موظف جيد و زوج جيد .. و يعلل ذلك أنني قادر على التأقلم والإستمتاع بأبسط الأشياء حتى السطحي منها ، لم تنفعه فلسفته، ولم يشفع له طموحه وخياله العاليين ، فما سبب له تفسيره لكل شيء وعدم قبوله الأشياء التي لا يشعر بها إلا أن اعتزل الجميع وتقوقع داخل صومعته.

لن أتركه فريسة للوحدة والعزلة، يقضي الباقي من عمره يلعن في الواقع ويسب الحياة خارج صومعته، يقرأ الكتب ويريد أن يري وطناً كما في هذه الروايات ولكن الواقع رواية أخري تماماً.

بحثت عن مدخل لقلبه أجعله يفكر في الخروج معي لم أجد أفضل من لمعان عينه عند الحديث عن الكتب، استغللت هذا البريق وحاولت استثارته

نحو امتلاك رواية جديدة ، وأثناء خروجى لم أستطع أن أقاوم فضولى حين وقعت عينى على روايته "نور خان "فنظرت إليه لأستئذنه ولكنه كان شارداً وتوقعت أن يرفض فأخذتها دون أن أخبره ، سيغضب مني، ولكن لابد أن أعرف عن هذه المرأة التى جعلته درويشاً زاهداً في كل شيء دفعته للإستغناء عن كل الدنيا والاكتفاء بأربعة جدران مستعيناً على أوقاته ببعض الكتب ،سألته يوماً لماذا تبدوا دوماً شخصاً هادئاً فقال

- لأننى أقرأ، القراءة يا صديقى ذلك الصراع الفكرى الصامت، المعارك الذهنية الصامتة التى تخوضها مع الكتاب والمؤلفين حتى يستطيع أحدهم ان يقنعك بكل أفكاره دون أن يقطع ثيابك ...

لا أنكر حبه للكتب ولكن الحياة ليست ورقاً ولا يمكننا أن نعيشها على الورق أعرف بعضهم يقرأ كثيراً ثم يحسد الجاهل على راحة باله، يحتاج كل شيء فينا أن يمارس حقه في الحياة الطبيعية فالعين تريد أن تراقب انفعالات البشر وأفراحهم وأحزانهم تريد أن تتأثر بغضبهم ورضاهم وهذا الجسد لم يخلقه الله ليقرأ فقط!

ذهبت إليه اليوم بعد ما قابلت " ريهام " المفاجأة التى أعددتها له إنها الفتاة التى يحلم الجميع بالزواج منها ، أو الإرتباط بها، تلك النوذجية التى ظن الكل

أنها غير موجودة، المستحيلات الثلاث الذي يبحث عنهم الرجل ودائماً ما يفتقد إحداهم في كل امرأة يقابلها

" الذكاء والجمال والأخلاق" ، لماذا أصبح من النادر أن تجتمع هذه الصفات في المرأة ولا يستطيع الرجل الشرقى،هوالآخر أن يتنازل عن أحد هذه الصفات إلا عندما يعتريه الخوف من العنوسة.

لقد عثرت أنا علي هذه المستحيلة من أجله اليوم لعلها تستطيع أن تعدل سير حياته بالتأكيد تستطيع امرأة ذكية أن تعيد الإتزان لحياة أي رجل بشرط أن ترغب هي في ذلك ، وأن يملك هو الاستعداد أيضاً ، ما أريد له سوي حياة طبيعية يتزوج وينجب ويعمل و يفرح يوماً ويحزن يوماً ، يعرف أشخاصاً جديدون يحب أويكره يشتاق أويمل ، المهم أن تملأ حياته الحركة .. فالأصعب من الموت أن يغلب على حياة الإنسان سكون الموتي!!

لم أنتظر حتى أذهب إلى البيت فتحت الرواية في الطريق لأتلصص على ما فيها ،أخذت لى مكانا بجوار الشباك في الميكروباص هذا المكان الذي يعطيك بعض الخصوصية تستطيع فيه أن تخلوا برواية لا تستطيع الإنتظار حتى تنزل وتقرأها ..

أستطيع هنا أن أبكى لكلمة أو أضحك لآخري ويمكنني أيضاً أن أتهامس ما أشعربه مع الزجاج على جانبى الأيسر .

فتحت أول صفحاته :

إهداء

إلى نفسي ..إلى ذاتى فأنا من بنفسه يوماً قد كفر

وأنا من عاني وقاسى وتألم وتوجع وتحمل وصبر

" عندما جعلتنى الأيام خيبة إحداهن "

تخوفت أن أقع فى فخ العنوان النموذجي والمضمون المناقض له وأن يكون الإعتراف مجرد عنوان اختار فيه أن يكون سيد من سادات قبيلة الصدق وفى المضمون اختار أن يكون سيداً من سادات التبرير وإعطاء الشرعية للخيانة والحتمية للخذلان ، ولكن رجل فى عزلة "عمر "بالتأكيد لن يكذب ، فما كان ليرتكب جرماً ابتعد عن الناس بسببه، فإن ضج من كذب نفسه كيف يعتزلها هى الأخري !!

وبينما أفكر وأنظر إلى الزجاج، وإلى عيون الناس من حولى ، لعلى اقرأ فيها شيئاً لم أجد إلا نفس الدهشة، فعندما تقرأ شيئاً وتفكر فيه تظن أن كل من حولك يشاركك التفكير في نفس الشيء ..

يبدوا أن عمر قد عرف أننى على وشك قراءة روايته فيتصل الآن يريد أن يمنعني يريد أن يحافظ على قصته في ذاكرته وعلى أوراقه ليس مستعداً بعد أن تغادر القصة أحد رفوفه، إن الوقت الذى سينشر فيه هذه القصة هو الوقت الذى يكون فيه مستعداً لمناقشة كل حرف فيها وكل كلمة وكل دمعة وكل خيبة

قلت :

- أهلاً يا عمر كيف حالك

كنت على وشك الإعتذار له إلا أنه فاجئنى قائلاً

-اتصلت بك لأنني اكتشفت سببا قد يجعل الناس يقرأون روايتى

-وما هو ؟؟؟

قال عمر بنبرة تفوح صدقاً :

-الألم يا صديقى عندما يكون حقيقياً يستحق أن يدون ويستحق أيضاً أن يقرأ ، من حقى أن أكتب عن وجعى ، حتى لو كان وجعي لا يهمك ولا يهم أحد ،

وتابع قائلاً

-وعندما يقرأ أحدهم وجعي فى رواية ، فيراه مشابهاً لوجعه فتعجبه روايتي، وقد لا تعجب آخر ويشمئز منها فأكون قد أوجعته أيضاً

لم أبتسم ..فأنا لا أسخر من أوجاع الآخرين ..هل يقصدني بكلامه إنه بالتأكيد عرف أننى أقرأ روايته هل يخبرنى بذلك أننى سأدفع ثمن فضولي وتلصصي على روايته سواء أعجبتنى أم لم تعجبنى ، سأدفع الثمن وجعاً

قلت له متحدياً :

ولكن هل تعرف ما هو الشي الذى يجعل القصص تستحق أن تروي أيضاً؟

-ما هو ؟

-أن تحتوي القصص على أشخاص عاديين قاموا بأشياء غير عادية ..كأن تري رجلاً يعترف على نفسه بأنه كان خيبة امرأة أحبته.

ثم سألته ..

-تعودت أن أقرأ عن رجال يشكون خيبتهم فى امرأة ولكني لم أقرأ من قبل ..عن رجل كتب عن خيبة امرأة فيه !!!

قال

-دوماً أصحاب الخيبات فقط يملكون الوقت لتدوينها ، أصحاب الأحلام الضائعة يكتبون عنها ويبكون فقدانها ، أما أولئك القوم مشغولون فى الرقص على جراحات ضحاياهم ، مشغولون بتحقيق أحلامهم على حساب كوابيس الآخرين

انتظرت أن يسألنى عن الكتاب ، ولكنه لم يفعل ..ودعنى قائلاً أنه ينتظرنى فى التاسعة مساءاً ، لم أتوقع تجاهله ، يبدوا أنه أراد لى قراءة قصته، أراد لى معرفتها !!!

لعلنى أكتشف بين سطوره ما عجز لسانه أن يحكيه، أقرأ فيها ما عجزت عن قراءته في عينيه ..

وصلت إلى البيت،عندى قصة لأكملها وعلى أن أرجعها إليه في المساء دخلت سريعاً إلى مكتبى وأغلقت الباب وتلصصت على قصة صديقى التى بالتأكيد كتبها ولا يدرى أن أحدهم قد يقرأها على الأقل الآن كما هى خالية من التجميل والمبالغة بالتأكيد كان حريصاً على جعلها قصته دون زيادة أو نقصان فيها ،يقول عمر:

الأول من يناير 2011

أيقظنى من نومي صراخ أبى يقول

- أين عمر.. أين عمر

قمت مسرعاً إليه فهو رجل عسكري تعود أن تلبى أوامره بسرعة ، أخاف أن اتأخر يعاقبنى كما يعاقب الجنود في الجيش ، وقفت بين يديه من فرط دهشتى لم اسأله حتى لماذا يصرخ فقط وقفت غير قادر حتى على فتح كلتا عيناي

، وكان يرتدى بزته العسكرية يبدو أنه قد جاء من معسكره للتو، ولكن ليس اليوم موعد أجازته ، بدأ القلق يتسرب إلى داخلى ، لم ينطق هو أيضاً ، كان يتكلم هو وامي صمتاً كأنها كانت تتوسله بعينها أن يرفق بي ..

طمأنتنى هذه الوصية الصامتة من أمي .. فهى أكثر شخص يعرفه ويفهمه ، تعرف مداخله ومخارجه تدرك قدر حزمه تكون طيبته ، تتفهم طبيعة كونه رجل عسكري، وأنا أتفهم أيضاً كونه أباً يخاف على أولاده

بدأ أبى كلامه محاولاً بث بعض الطمأنينة إلى قائلاً

إجلس يا عمر أريد أن أحادثك في أمر ما

جلست أنا وهو بينما أمى ظلت واقفة مترقبة ، قد يكون لديها علم بما سيقوله أبى أو تتوقع امراً جللاً..

- عمر ما هى قصة نيفين ؟

"اتسعت عيناي ، واربكنى السؤال حتى جعلنى أتخيل نفسي أترك المكان وأمشي بعيداً..

قلت بتوتر

- نيفين من يا أبى ... من أخبرك بالأمر؟؟

قال

- يا بنى، قبل أن يأتى الوقت الذى أعجز فيه عن حمايتك وبينك وبين هذا خطوة جديدة تمشيها في هذا الأمر، فأفهمنى الآن إلى أى درجة الأمر معقد ؟؟

بقيت صامتاً أحاول أن أرتب إجابة تجعل الموقف يمر دون أن أقول شيئاً مهماً ...

قلت هروباً...

- يبدو أنك تعرف أكثر منى..

- أريد أن أسمع منك، وأعرف ما يدور بذهنك ، حتى نصل لحل فيه سوياً ..

ليس من الطبيعى أن تكون علاقتى مع بنت محور حديثى مع ابى وامى بهذه الجدية، قد يحدث أن نمزح عن الأمر بطرق غير مباشرة ..

قال ابى وهو يحدق النظر إلى ولكن كأنه يوجه كلامه إلى غائب :

- نيفين أو عائش، فتاة مسيحية عمر على علاقة بها دخلت الإسلام من أجله برغم أنها لم تعلن ذلك إلى أن هناك أجهزة سيادية على علم بالأمر وجارى التنسيق مع مؤسسات دينية للتعامل معه، بالطبع عمر لا يفهم معنى كلمة التنسيق !!

قلت متهكماً :

- وما المهم في الأمر يا أبى حتى تهتم الأجهزة السيادية به لهذه الدرجة ..

إقتربت أمي منى ... وجلست على الأرض وأمسكت بيدي متوسلة

- عمر لا نريد أن نفقدك ،

ضحكت بسخرية

-لماذا تجعلون شيئاً بسيطا مجرد علاقة بين اثنين ، بهذه الخطورة

أشار أبي إلى أمى أن تبتعد عني، وأخرج من يده ورقة وأعطاها لى قائلاً فلتبحث عن هذين الاسمين وتأتى لنتحدث أكثر عن الأمر

"أخذت منه الورقة غير مبالياً حتى بالنظر إلى ما فيها ودخلت إلى غرفتى أغلقت الباب بإحكام، ثم رميت الورقة بجوار الحاسب وجلست على أحد الكراسي أقرأ أحد الروايات التى أهدتنى إياها نيفين ، كأن شيئاً لم يحدث ..

وفى أول صفحة شرد ذهني وتذكرت كيف تعرفت على نيفين

نيفين تعمل فى أحد الكافيهات القريبة من البحر المتوسط في الأسكندرية حيث أذهب مع أصدقائي فهو مكاننا المفضل فى الخروج

هناك عرفتها ..كانت دائماً ما تراني إما أقرأ كتابا أو التزم صمتى أو أشارك بقليل من الكلمات مع أصدقائي ..

لم يخطرفى بالى أن تكون فتاة مسيحية تعرف عن الإسلام بهذا القدر،

بدأت تسالنى عن الكتب التى ترافقنى كلما دخلت إلى الكافيه قد أذهب مرات بدون أصدقائي ولكني لا أذهب أبداً بدون كتاب!!

بدأت تستعير منى الكتب ، وتناقشنى فيها ..وجدتها تمتلك تعليقات مثيرة للإعجاب ..

ذات مرة كان معي كتاب "الرحيق المختوم "وهو عن سيرة النبي محمد "صلي الله عليه وسلم "لم أتوقع لحظة أن تطلب منى استعارته ، حتى بعد أن أخبرتها عن محتواه ،ولكنها فعلت وأخذته ..

بعد أسبوع جاءت لتشكرنى علي الكتاب وأعطته لي ولكنها المرة تبدوا مختلفة على وجهها نور لا أفهمه، كأنها تخبئ شيئاً عظيماً، أخذت منها الكتاب حاولت أن أسألها عن رأيها فيه قالت

لقد كتبت رأيئ داخل الكتاب .. وغادرت ولم تقل شيئاً

وفى طريقى إلى البيت فتحت الكتاب وكلى فضول لأعرف رأيها فيه ، فتحت الكتاب وقلبت كل صفحاته حتى لم يبق منه إلا الغلاف لم أجد حرفاً أو أي تعليق منها حتى ظننت أن ما قالته ليس إلا هروب من السؤال ولكن عندما وصلت إلى الغلاف وجدتها بالفعل قد كتبت شيئاً ملأنى ذهولاً ودهشة كتبت " أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله "

ثم وجدت رقم هاتف مكتوب بخط صغير أسفل الورقة !!!

كلمتها على الفور اسأل عن الأمر، أهي مزحة منها، تحاول التقرب إلى بها،

لم أسلم حتى عليها سألتها

- نيفين ما الذى كتبتيه ، أتعرفين ما تعنيه قالت

- عمر..الرحيق المختوم !!

-ما به ؟

-عليه الصلاة والسلام ..

-نيفين أنا سعيد انكِ تأثرتي بسيرة النبي

-أنا لم اتأثر به فقط ، أنا آمنت به ..كما آمنت بك

* * *

أخرجنى من دائرة الذكريات طرق باب غرفتى ، إنها أمي تذكرنى بأن أبى ينتظر،

- سألتها ينتظرنى لماذا ؟؟

قالت

- ينتظرك لتنتهى من البحث عن الأسماء الموجودة بالورقة !!!

قمت بسرعة ، وذهبت نحو الحاسوب ، بحثت عن الورقة ،حاولت قراءة الموجود فيها فوجدته عبارة عن اسمين كتبا بخط تعمد من كتبه أن يبدوا سيئاً وصعباً في القراءة كعادة كل الأوراق التى يأتى بها أبى من عمله كنت أشك قديماً أنها شفرات يستخدمونها بينهم ولكنى اكتشفت حديثا أنه ليس سوي ضعف المستوى التعليمى

قرأت بصعوبة المكتوب في هذه الوريقات فكان

اسمين الأول كان "كاميليا شحاته" والثانى كان "وفاء قسطنطين"

لم أسمع بهما من قبل فبحثت عنهما وكانت الصدمة التي لم أتوقعها، لطالما حاول أبى أن يعزلنى عن الدولة ، والصراعات والايديولوجيات المختلفة ، الآن بنفسه يعطينى ملخصاً لمدى القبح والعار الذى نحن فيه ...

"وفاء قسطنطين"

امرأة مصرية تعمل مهندسة زراعية من مواليد 1956 ، كانت متزوجة من "مجدى يوسف عوض" كاهن مسيحي مصري راعي كنيسة فى أبو المطامير بمحافظة البحيرة أعلنت إسلامها، بعد سماعها حلقات للإعجاز العلمى للقرآن إثر هذه الأقاويل حول إعلانها الدخول في الإسلام ثارت الكنيسة المصرية الدين الإسلامي ،فأثارت قضيتها الرأي العام المصري إلى أن تدخل الرئيس-حسني مبارك وأمر بتسليمها للكنيسة، لتدعها الكنيسة في بيت للراهبات في منطقة النعام في القاهرة لأيام قبل أن تنقل إلى دير الأنبا بيشوي، حيث التقت البابا شنودة وأمر بتعيينها في الكاتدرائية وعدم عودتها إلى بلدتها مرة أخرى،ولم تظهر مرة أخرى من ذلك الحين وسط إدعاءات بقتلها من قبل الكنيسة عقابا لها .وأعلن أن البابا شنودة رفض بشكل نهائي ظهور وفاء قسطنطين، لأن هذا سيسبب الكثير من المشاكل للكنيسة على حد قوله.والعجيب فى الأمر هو قتل 50 نفساً فى بغداد على أثر هذا الحدث حيث

قام تنظيم القاعدة فى بلاد الرافدين باقتحام أحد الكنائس وقتل 50 مصلى !!! كما توعد هذا التنظيم بهجمات أخرى ما لم يتم إطلاق سراح وفاء قسطنطين.

"كاميليا شحاتة "

مواليد 22 يوليو 1985 هي معلمة مصرية تعمل بمدرسة دلجا الإعدادية زوجة القس "تادرس سمعان" كاهن بالمنيا "دير مواس حاصلة على بكالوريوس العلوم والتربية تخصص تاريخ طبيعي من جامعة المنيا.تقدم زوجها ببلاغ عن اختفائها وشهد مركز دير مواس بالمنيا داخل مقر الكاتدرائية المرقسية العباسية،تظاهر مئات من المسيحيين احتجاجا على الغموض الذي يسيطر على اختفاء كاميليا زوجة القس تادرس سمعان وطالب المسيحيون اجهزة الامن بسرعة التحرك لكشف غموض اختفاء زوجة الكاهن، التى ترددت انباء انها تعرضت للإختطاف ووسط أنباء عن ظهور زوجة القس المختفية بالجمعية الشرعية الإسلامية بالمنيا حضر لمقر الكاتدرائية المرقسية بالعباسية ، وبعد أربعة ايام من الاختفاء أعلن الأمن المصري العثور على زوجة القس وتم تسليمها للكنيسة

وأرجعت أسباب الاختفاء إلى مشاكل عائلية .وبعد رجوعها للكنيسة صرح الأنبا أغابيوس، أسقف دير مواس على احد القنوات أن كاميليا بأنها تحت رعاية الكنيسة وأن الكنيسة تعمل "غسيل مخ لغسيل المخ الذي عمل لها

أهذا ما ينتظرك يا نيفين ...كم نفساً ستزهق إن أعلنتِ للعالم اسلامك وحبك .فى أى كنيسة سيتم احتجازك قصراً لتمضين الباقى من عمرك تخدمين من يسمون أنفسهم رجال الدين هذا إن أبقوا على عمركِ أصلا.

لماذا الآن يا أبى ... لماذا تريدنى أن أعرف ذلك الآن ... خرجت مسرعاً إليه لم يفارق المكان الذى تركته فيه ، استوعبت الآن القلق الذى يعتريه ، والخوف الذى يلمع في عينيه والذى لم يعرف طريقاً يخبرنى به عن خطورة الأمر سوي أن أرى بنفسي ما قد يحدث لو لم يسيطر علي الأمر .... جلست بجواره لم أتكلم ولم أنظر له ، هو أيضاً لم يرفع رأسه من الأرض ، بالتأكيد انتبه لوجودى ومع ذلك ظل صامتاً ، يريد أن يتأكد أنى خرجت شخصاً آخر غير الذى كان يتهكم منذ قليل ...

بدأت في الكلام قائلاً ...

- في أى كنيسة ستقومون بحجزها ؟؟

- نظر إلي بذهول قائلاً

- الأمر أكبر منى ومن كثيرين مثلى إنها سياسة دولة، انا أحاول فقط إن أنقذ ما يمكن إنقاذه أنت فقط أخبرنى ، هل تستطيع أن تنهى الأمر، حتى نستطيع معا تجاوزه !!

- أبى أنت لا تعرف نيفين ، إنها ...

قاطعنى أبى قائلاً

- عمر انتهت حكايتك معها .. من أجلها .. أولا ومن أجلنا ثانية !!

لم يذكرنى أبى في هذه الخواطر .. ولكنى ذكرته قائلاً

- وأنا يا أبى !!!

- أنت ماذا؟؟

- ألن أفعل شيئاً لأجلى .. ألا أستطيع أن أفعل ما أريده ؟؟

- إياكَ أن تفكر في نفسك فقط يا عمر، فتؤذي الجميع وأولهم نفسك.

وتابع أبى قائلاً

- عمر الناس صنفين، صنف أفضل وصف مناسب له هو "الصنف المتخبط " لا تكن يوماً منهم ، هؤلاء المتطرفين دوماً ، لا يسيرون في منتصف الحياة ، يترنحون يمينا ويساراً فيصطدمون في جدران الخيبات دوماً ، وبعد كل خيبة يقفون على أقدامهم بصعوبة وليتهم يتعلمون بل يقومون ثانية وكأنهم أدمنوا السقوط في الخيبات، كن من الصنف الآخر ياولدى لا تقترب من حواف الطرق، لا تتطرف قف على مسافة آمنة دائماً من الانكسار ،

ستكون ثم خيارات كثيرة في طريقك ، لا تنبهر دوماً بالتعب ، ولا يغريك التحدى، أعرف أن طريق الحزن أكثر جاذبية ولكنه مرهق للنفس ...

وقف أبى يستعد للمغادرة، نظرت له بذهول كأننى أسئله

– لماذا سيغادرفي نفس اليوم الذي جاء فيه !!

أخبرنى أنه جاء خصيصاً لهذا الأمر وسيرجع ثانية لأن موعد اجازته بعد احتفالات عيد الشرطة أواخرهذا الشهر" يناير"

نظر كعادته للمرآة بفخر ليس بنفسه ولكن بهذا الزي الذي يرتديه، وبعد أن يخرج اجرى إلى النافذة أنظر من خلفها أراقب عيون الناس في الشارع حين يقابلون أبى، أشعر بالفخر حين أرى هيبة أبى واحترامه في عيون الناس ، يخطف الزي العسكرى عيون المصريين دوماً، يحبونهم محبة صادقة . غادر أبي وترك لى مسئولية كبيرة لا أعرف ماذا أفعل أو حتى كيف أفعل ما ينبغي.. كل ما أراه هو أننى يجب على أن أنقذ نيفين مما ينتظرها ....

أنزل لا أعرف وجهتى ، أريد أن أستعد فقط لإخبار نيفين ، لم أجد أفضل من محطة ترام أجلس عليها ، محطة الترام فى الاسكندرية كبيرة الشبه بالقهاوي تحتضن من يجلس عليها كأنها جدته ، أشعر أننى حفيد أحد تلك المحطات .

لا نعرف الحقيقة وراء صنع الأشياء كالترام مثلا ..بالتأكيد كان يريد أحدهم أن يفصل بين البشر وألوانهم واهتماماتهم، فصنع وسيلة مخصصة فى الأصل لنقل الحكماء وكبار السن الذين فهموا الحياة واكتسبت أعينهم نظرة مغايرة للأشياء من حولهم ..ويشاركهم فقط بعض أصحاب الخيبات ، ويتطفل عليهم من لا يتحمل همومهم وأحزانهم وسائل مواصلات أخري ..

أخفى دائماً خلف نظارتى السواداء نظرتى الحائرة ، وأحجب سمعى بزوجين من السماعات الصغيرة في أذني وأنافق قلقي بجلسة على المحطة بأناقة وثقة وقدم فوق الأخري كأنني لا أهتم ولا أبالى ..ولا يعرف أحد أنني أفكر فى ما لا يعنينى أكثر مما يعنينى ، أرهق عينى بأشياء لا تخصنى وبالى بالتفكير فيها ، تريد عينى أن تنظر لكل شخص وكل فتاة تمر فى محيط 100قدم من حولي ، لكل من يركب الترام وكل من ينتظره وكل من ينزل منه .

بينما أنا أنتظر يرن هاتفي..لم أنظر إليه ..أعرف أنها نيفين

كررت الإتصال بى كثيراً ولم أرد ، اتصلت بى هذه المرة كما لم تفعل من قبل ، لم تتوقف لحظة ..احساس غير مريح ، ليس من السهل أن تضطرك الظروف أن تخذل أحد، ليس له ذنب غير محبته لك ،

أنا لم أعد هذا الحبيب الذي سيستقبلها بكلام عاطفي يسعدها..

تعلمت نيفين الصلاة والصيام وحفظت أجزاءاً من القرآن ، وطلبت منى أن أختر لها اسماً جديداً ، وسميتها عائشة ، أحببت أن أكون الحلقة الواصة مجرد جسراً تعبر من عليه إلى دين اختاره قلبها لم أكن أدرك أنها ستعشق الجسر وتعلق به وتقيم عليه ، أريد الآن أن لا أكون جسراً جديدا نعبر أنا وهى من خلاله إلى معتقل أو إلى أحد الكنائس

لن يتقبل شخصاً يحبك أن ترحل عنه راضياً أبداً ، لا وجود للروح الرياضية فى الحب .. ولكن نيفين بالتأكيد تعرف وتفهم أن حبنا مستحيل

إياكَ أن تهجر إحداهن في الهاتف فهذا عمل حقير ، دعها تنظر إلى عينيكَ وأنت تخبرها أنك سترحل دعها تقرأ فيهما صدقك إن كنت صادقاً ودعها تكتشف كذبك أيضاً إن كنت كاذباً ، إياك أن تخجل من حقيقتك

- ذهبت إلى الكافيه التى تعمل به ، جلست في نفس المقعد .. حاولت تأمين نفسي بشكل مؤقت لم أتخل عن نظارتى السوداء ولا عن السماعات الصغيرة في أذني ، تلك الكراسي من تحتى تلعنني بالتأكيد لا يعجبها ما سأفعله، والطاولة التى اعتادت أن تبادلنى شعور الارتياح لا تعطيني سوي الغربة

جاءت مثقلة بالقلق الذى أخفته مازحة :

-أبدأت في ذلك ؟

- بدأت فى ماذا ،ما قصدك؟

-أعرف أناسًا لا يردون على هواتفهم متظاهرين باللا مبالاة ..بحجة أن ذلك يعطيهم "بريستيجا "أمام من يجالسهم..

تحاول أن ترسم ابتسامة على وجهي تطمئنها أن كل شيء على ما يرام ولكن الحقيقة أن كل شيء ليس على ما يرام .

لم أبتسم ..وكيف أبتسم لها وأنا أحمل فى يدي خنجراً أنتظر فقط أن تدير ظهرها ...

..نظرت إلى الأرض وأخذت نفساً عميقاً وقالت محاولة التغلب على هذه الغصة،

-أفعالك اليوم ، تحمل وجهين إما هناك شيء أغضبك منى وتنتظر أن تصفى نفسك حتى يستطيع لسانك أن يتكلم وهناك احتمال آخر ..انك تحزم امتعتك ولم تعد ترغب فى الإقامة فى موطنك الحالي ، لعله حبى لك المبالغ فيه أصبح حملاً ثقيلاً كبيراً يصعب عليك تحمله ،

- نظرت إليها مذهولاً من براءتها ولكنى لم أتخل عن صمتي وتابعت هي :

-أتعلم يا عمر أنا لا أعرف لماذا وقعت فى حبك، لعلنى وجدت فيك طوق نجاتي ، وجدت فيك مخرجا من حياتي ..وطريقا أسير به إلى خالقى "ثم اتسعت عيناها وظهرعليها ملامح الدهشة وقالت

- يا الله ، أنا بالفعل أحبك

- نيفين أنا ...

تقاطعني لتطلب لي قهوتى، هذا الشراب الراقى ، ياليت كل شيء على مستوى رقي قهوتنا ، حتى جراحنا ..حتى فراقنا ووداعنا ..

ثم قالت :

- عمر لو جئت اليوم تبرر شيئاً تريد أن تفعله ، فلا تتخل عن صمتك ولا تحاول تحسين صورة قبيحة ، فالزينة لا تجمل شيئاً هو فى الأصل قبيح،

بصوت يدرك ضعف موقفى قلت :

- أنا أحاول فقط أن أنقلكِ لواقع أنتِ غائبة عنه ولا تريدين رؤيته

-وماذا أفعل بالواقع، وأنا أمتلك الحقيقة ..

سألتها باستغراب ..

-أي حقيقة ؟

-الواقع هو ما جئت تخبرنى به يا عمر أما الحقيقة فهى أنك خائف منه حاولت أن أنفي "تهمة الخوف " عنى ولكني ما جئت اليوم لأكذب

فقلت

-أخاف عليكِ قبل أن أخاف على نفسي ..

فى محاولة منها للإستبقاء علي مدت يدها وأمسكت بيدي وقالت :

-عمر، لا تخف .. فقط دعنا نواجه أي شيء

سحبت يدي من يديها ببطء،وقلت:

- نيفين أنت ، لا تعرفي شيئاً

ثم سكت قليلا ترددت أن أخبرها ولكنى قلت :

، فلتبحثي عن اسمين "كاميل...

توقفت عن الكلام حتى لا أجعلها تشعر بالخوف هى الأخري "

قالت

- أكمل ياعمر..أي اسمين ؟

- لا لا شيئ

- عمر ، أريدك فقط أن تطمئن

قلت بعصبية متهكمة..

- ما الشيء المميز في كلمئة اطمئن حتى يظن الأخرون أنها كافية لتجعلنا نطمئن ، الاطمئنان شعور، والشعور لا يحتاج الى أوامر لنقع فيه ،

بدون مقدمات هبت واقفة ، وقالت

- .أنتظرني هنا

سألت بدهشة ،

-الى أين ؟؟

الى البيت أحضر ما يلزمني وأذهب معك الى أي مكان تريده ..ونتزوج ونعيش في أي مكان ، نحن لا نحتاج الى العالم في شيء ،

-لهذه الدرجة أنتي سازجة !!!!

-سازجة ..

"لم أدرك أن الكلمة ستكسرها الى هذه الدرجة التي جعلتها لم تعد تسيطر على دموعها ،

-نعم أنا بالفعل سازجة ، لأني أحببتك،حسنا يا عمر، الأمر انتهي الآن ، طالما تري حبي لك سزاجة ..

حاولت أن أعتذر عن معني أنا بالفعل قصدته، ومتى قلنا شيئاً وكنا نقصد قوله بهذه الطريقة التى فهمها الآخرون قالت

- كفي يا عمر.. الموقف أصبح فيه إهانة لقلبينا إن كان قلبك قد حضر معك بالفعل..

-نيفين ..أنا ..

-وداعا يا عمر

ولكني على دراية أننى سأتعب بعض الوقت ولكن، ولكن قلبك هذا سيتألم يوماً ما .

-أنت من تجلديني الآن دون رحمة ،

بسخرية لا تخلو من المرارة قالت ،

_معذرة ..تحملنى قليلا من الوقت ..أحتاج أن أجعلك تدرك ما تفعل ،

فوجئت بيدها تمتد لتخلع عنى نظارتى السوداء ، وقالت

-عمر اعطنى يدك ، لثانية .. لا تخف !!

-مددت يدى إليها بحذر التقطتها ، رسمت عليها قبلة كادت أن تقتلنى ، هاهي تطعنني دون أن ترتكب جرماً ودون أدنى احساس بالذنب ، كادت تقتلنى

حباً..يجب أن يكون هناك قانون يعاقب على مثل هذه الجنايات، هذه القبل جنايات ، جئتها رجل مريض بالخوف والقلق ..ارجع من هناك قتيلا ضحية قبلة رسمتها شفاة مجروحة بالخذلان .

أي عقاب تعاقبنى به ، بل لم تكتف بذلك ..بل مثلت بجثة روحي التى ازهقت ، قائلة ..

-دعني اقتبس منك كلمتك التى طالما لازمت لسانك وطالما ودعتنى بها ، قد تكون هي الشيء الوحيد الذي أخذته منك ،

- الله يحفظك ..فى أمان الله

لم أكن أعرف من قبل أنها قاتلة على هذه الدرجة من الاحترافية ..

لملمت بعثرتى وأجمعت أشلائي ، وقلت كأني اعتذرلها :

-نيفين .. هناك فراق وهجر، وهناك أيضاً خوف وهجر

في حفظ الله يا نيفين ،

1- النساء يفضلن أن ترحل عنهن بحجة الظروف ولا يملكن الجرأة لمواجهة السبب الحقيقى ، وهو عجزهن عن احتواء قلب رجل وجعله يقع فى حبهن ..

2- الحب المستحيل حماقة والانسان دائماً ما يختار أن يبدو أحمقاً,,

3- برغم أن الرحيل الصامت كالقتل بدم بارد ولكن الأفضل دوماً هم أولئك الذين يعتذرون عن الكلام بدلاً من أن يكذبوا ، يختارون الصمت ويرحلون .

عزبة مصر العربية المتحدة !!!

بدأت أتدخل رغماً عن أنفي في ما يحدث حولى، أحاول أن أفهم هذا الخلل الحاصل في المستويات المختلفة بالوطن حتى حال بينى وبين نيفين، أردت أن اعرف بأى طريقة وأى أسلوب يدار الوطن، أى مناخ هذا الذى لا يحتمل مجرد قصة حب بريئة بين طفلين، لسنا أكثر من طفلين ليس من مخططاتنا اشعال فتنة أو قلب موازين، او حتى نريد كسب عداوة أحد ، نحن فقط رغبنا وحلمنا بحياة نبنيها على الحب ، بقصة حب مختلفة، بأن نتحدث لغة واحدة فقط بعيداً عن كل التعقيد الذى يدور حولنا، كانت تهرنى نظرة الحب التى تكون في عيون الناس حين تري أبى ولكنى لم اكن أدرك أو لم يشغلنى هذه النظرة إلى الزي العسكرى الآخر ، نظرة مغايرة تماماً نظرة عيون الناس إلى جهاز الشرطة نظرة بها الخوف يسبق الاحترام ، بها اتقاء الشر يسبق الحب .

يقابلك أحدهم في الشارع لا يطلب منك تحقيق شخصيتك أولًا ولكن يسبق ذلك بضرب مهين في أماكن اختيارها لغرض واحد وهو كسر كرامتك وكسر شموخك فقط، يريدك ذليلًا.

فتوة حارتنا، رجل قارب الثمانين من عمره، أفسد ما أفسد وأتلف ما أتلف ولم يكتف بذلك بل نظر إلى مصر ورأى بعض الخير الذي لم ينهب وبعض مواضع لم تفسد بعد فقال" :ابني لها .."ولدي تجهزْ إلى ذلك وجهز عصابتك!!

من عصابتي يا ..؟؟

رجل أعمال يمتص دم الغلابة ويحتكر سلعهم ويتحكم في احتياجاتهم ويذلهم، وشرطي يضرب بيد من حديد كل من سولت له نفسه أن يفكر أو يعترض أو يتناقش، ووزير داخلية يرأس الجهاز بشقيه رجال داخلية وبلطجيها ..وقاضٍ لا يهتم!!

حسنًا يا ابي دعني أنفذ.

ولكن يا بني في طريقك حتى تصل عليك بآليات التزمها..

زدني نصائح ياابي ،

بنيّ إياكَ أن توقف هذا الفساد الحاصل وهذا التزييف والتغييب لعقول الناس، فهؤلاء إن أرادوا الصلاح أو وعوا وتفكروا لن يسمحوا لك بالحكم.

خلاصة لن يساعدك إلا الفاسد لأنه مستفيد بالفساد.

لقد خفت أن أطلب منهم أن أحتفظ بفتاة تحبنى ، هل جننت فى عقلى حتى أطلب منهم بلد تحترمني ..بالتأكيد فى نظرهم سأكون قد جننت ..

ظهرت دعوات الشباب للنزول في 25 يناير القادم وعزمت المشاركة معهم لنطالب بتغيير هذه الظروف التي تقف حائلاً بين الناس وبين حبهم ، بالتأكيد هناك غيري الكثيرين ممن أحبوا أشياء وحرموا منها قد يكون الحب مختلف ولكن الحرمان واحد، ،وهذا الشاب الذى حال الظلم بينه وبين العمل الذي يحبه ويستحقه ،لأنه ليس ابن فلان، وهذا الذى أحب العدل فأبي الظلم إلا أن يرميه خلف القضبان وهذا الذى أحب المساواة والحرية فأبت الديكتاتورية إلا أن كممت الأفواه وكبلت الأيادى ...

اتصل أبي وطلب من أمي أن تعطينى الهاتف ، بعد أن اطمئن على أخبرنى أن هناك دعوات منتشرة بين الشباب للنزول وعمل مسيرات احتجاجية .. وطلب منى أن لا أنزل قائلاً:

- لا تنزل من البيت هذه الأيام يا عمر..

قلت

- أبي ..دعنى أنزل ..أريد أن أشارك..

قال صارخاً

- اياك يا عمر أن تفعل

- أبى لطالما كنت أنصت إليكَ، أعرف أنك تعرف أكثر منى وأن فضلك علي الكثيرولكن هذه المرة فقط هذه المرة دعنى أنزل ،ما الضيرفي أن ينزل الشباب رافضين للظلم والفساد ..

فقال:

- أي فساد وظلم ، لوعاصرتم حربا واحدة لأدركتم الفضل الذى أنتم فيه !!

- ليس من حق جيلكَ يا أبى أن يمن علينا لأنه عاصر حروباً لم نعاصرها، لأنكم تستردون ذلك في نظرات الحب والشكر من كل من يقابلكم

وتابعت أما نحن ، فماذا نأخذ سوي التهميش والتصغير مهما كبرنا، دعني اليوم أخرج ، قد نفعل شيئا لا أعرف ماذا سنفعل ولكنى على يقين أننا لا نريد لوطننا سوي خيراً..

سكت أبى قليلاً ثم قال

- لا تنزل يا عمر، وأعدك أن تنزل عندما أرجع .

سكت أنا الأخر..هل يحاول أبى أن يعدلنى عن قرارى بهذا الأسلوب ، أم هو فقط قلق على أمى ويريد منى التزام البيت حتى يرجع ...

قاطع أبي تفكيرى قائلاً:

- اتفقنا ؟؟

- حسناً يا أبي اتفقنا

جلست في البيت منتظراً أن يأتي وبالفعل جاء ولكنه لم يأتى في أجازه لكن حين صدرت الأوامر بنزول الجيش في الشوارع ، كان أبى من ضمن القوات التي جاءت إلى الإسكندرية ، وقتها هاتفنى هو طالبا منى النزول ... قائلاً

انزل الآن يا عمر

أسعد لحظات حياتى حين نزلت في الشارع أصرخ بقوة أحاول فرض أحلامى ويحمينى أبى ورجال الجيش، لا أحد يعرف هذه المتعة ولا هذه النعمة الا من فقدها .

قطار يسير إلى الهاوية،، . ترك قضبانه، وتخطي محطات مهمة، تخطي التقدم والحرية ، ركن طويلاً في محطات الجهل والمرض والفقر، ولكن هل العيب في السائق فقط؟؟ أشك في ذلك.. أخاف أن يكون الخلل في كل نواحي القطار، في ركابه في المؤسسات القائمة عليه ، بالفعل رحل نظام مبارك .. لا من فضلك فقط سقط رأس النظام

أصبحت بعد ثورة يناير ألتهم حاسوبى التهاماً ، كأنى لم أخلق إلا لأقوم بعمل إعجاب أو اكتب تعليقاً أو السخرية على أوضاع البلد وانتقادها فى هذا العالم الافتراضي .

على مواقع التواصل تستطيع أن تكون الشخص الذي تريد، تستطيع أن تكون أشجع الشجعان وأنت تخاف من خيالك ، تستطيع أن تكون أذكى البشر وأنت لا تفقه شيئاً، على مواقع التواصل الكل رائع حتى تقابلهم على أرض الواقع!!!

قد تلبس قناعا على مواقع التواصل ثم تكتشف أنه حقيقتك وتنسي ما كنت عليه قديماً وتكمل حياتك بما كنت تظنه قناعا تلبسه، أصبحت هنا أقل خوفا ، أكثر جرأة ، تقول أصابعى دائماً ما عجز عن قوله لسانى فى حياتى الواقعية .

أصبحت أكثر ايجابية وفعالية ومشاركة كنت أظن أنها حالة منفردة ولكنها كانت حالة عامة بين الشباب، ولادة من جديد فى وطن أصبح ينتظر منا كلمة وقرارا واختياراً ليحدد مصيره..

اعتقدت لحظتها أنى لو صعدت فوق أي بناية ونظرت حولى سأجد عن يمينى ويساري وخلفى وأمامى وفى كل مكان شباب لم تعد تسع الأرض فرحهم وأصبحوا يتطايرون ويطيرون ثم يهبطون كأنها أرجوحة جميلة

أحلامهم لم تكن بهذه النموذجية ، حين يتخطى الواقع سقف الأحلام يكون الفرح لدرجة الجنون ويصعب استيعابه.

اختلفت الموضة تماماً احتلت السياسة والصراع على تشكيل أيديولوجية البلد أحدث صيحة فى اهتمامات الشباب ، المحزن ليس أن تهتم وتفكر وتعتنق ما تريد، إنما المحزن أن تسب وتلعن وتكفر ولا تستطيع أن تختلف بذكاء وإنصاف مع الآخرين.

في الإنتخابات البرلمانية،حول المتنافسين على المقاعد البرلمانية لفت انتباهي شخصية مختلفة رغم أننا لم نلتق يوماً إلا أننى لأول مرة أدعم شخصاً لسلطة ما، الدكتور"كمال الدين " عرف عنه ،أخلاقه، وعلمه ..وفهمه ، ، اقتنعت انه يستحق دعمى ،لم أبالى بعلاقة الدكتور كمال بجماعة الإخوان ، لا أملك نظرة اقصائية أحاول دائماً أن اسلك طريق الإنصاف في الحكم على الأخرين ، برغم تحفظات أبى وتحذيراته المستمرة من التقرب إلى أي جماعة أو حزب أو حتى تنظيم شبابى، معللاً بأن ذلك ليس سوي طريقاً للتطرف والحيدة وبداية التعب .

حقاً الأمور لا تسير بعشوائية كما نعتقد ، انما هناك دائماً حكمة وتدبير لكل شيء.

درجتى التفاعلية ..ونشاطى المجتمعى..لم يؤهلانى ، لأقابل الألاف من البشر لاقنعهم بفكرة معينة ،أنا مقتنع بها،أو شخص أدعمه .. ..فتواصلت مع الناس وأنا فى بيتى فقط من خلف الشاشات وعلى مواقع التواصل الإجتماعى..لدعم الرجل .

أقابل "حسابا "يحمل اسما مزدوجا ، وهو"اسلامى حياتى " عرفت أنه ..فتاة ..أسابيع ، أقرأ ما تكتبه هذه الجالسة خلف الشاشات ،لا يربطنا ..إلا دعم نفس المرشح ،

يحدث أن تراقب حساباً شخصياً لأحدهم تتفحصه تريد أن تعرف عنه كل شيء تفتح الصور والملاحظات والمعلومات تزور حتى صفحات الأصدقاء تراقب التعليقات تراقب كل شيء تخرج بعد جولة المخبر هذه بصورة ذهنية حول هذا الشخص كافية لتعجب به وإن كنت خيالياً بعض الشيء قد ترسم طريق ارتباط به وترسم زواجاً وبيتاً وأطفالاً !!!

الأصعب دائماً يكون الخطوة الأولى ادعيت الغباء والحماقة وبدأت في إرسال الرسائل موجهاً بكلامى كأنها شاب يدعي إسلام ، وحاولت كثيراً أن توضح سوء الفهم ،منكرة كونها هذا الشخص الذي أقصده حتى أقسمت لى أنها

ليست إسلام وأنها أنثي ، اصطنعت المفاجئة والإعتذارات وكانت هذه البداية،

الشاب على موقع التواصل حين يتبادل الحديث مع فتاة ويعرف أن حسابها به عدد لا بأس به من الشباب يفقد حماسة حديثه معها يشعر أنه يفعل ما يفعله الكثيرون غيره ، هو نفس إحساس ذلك الشاب فى أول يوم له فى الجامعة حين جاءت إليه زميلته الجميلة وتكلمت معه فطار فرحاً بها حتي اكتشف أنها تكلم كل دفعته ، فنحن دائماً نحب الشي الذى نتميز به عن غيرنا ويقل الشغف بالشيء كلما كثر مشاركونا فيه.

شعرت بالفخر لذلك بالرغم أن نقاشاتنا لم تتعمق أبداً أبعد من الحياة السياسية والعملية الإنتخابية، أنا أدعم الدكتور كمال وهي أيضاً تدعمه هي تؤمن به وأنا اؤمن به

يوم الإنتخابات ،استفسرت عن نزولها الى اللجان لمساندة د "كمال الدين "

قالت :

-سأنزل طبعا ..

ثم تابعت ،،

-هلى لى ان أسالك سؤال،؟

-تفضلى ،

لماذا تدعم د /كمال الدين إلى هذا الحد؟ هل تعرفه، ام لأانك فقط من الإخوان ستدعمه ..

قلت:

- لا لست من الإخوان ولن اكون و لا أعرفه، ولن أعرفه يوماً،!!

-يبدوا أنك ترشح أعداءك ..!!

"ضحكت وقلت"

- سأخبرك بأمر غريب قليلا،الشخصيات المتميزة بين الناس..والتى تحظى بأشياء تميزها ..مال أو منصب،أو شهرة وغيرها، " لا أحب التقرب إليهم ..أو معرفتهم شخصياً

أهذه عقدة مثلًا؟؟ أوحقد أوشيء من هذا القبيل؟

ضحكت بثقة ..

بالتأكيد لا، فلماذا أحقد عليهم..بالعكس ،

تابعت

أنا فقط لا أحب حياتهم تلك التي تخنقها الرسميات ، فلا ينبغى عليه أن يكون كباقى الناس، أو يتعامل مثلهم ، .أو يعيش نفس حياتهم ، فذلك الذي يجني الملايين ينبغي عليه أن يعمل لساعات أكثر من يومه، ويلتزم رسميات اكثر من طاقته..وشكليات أكثر من أن يتحملها رجل سليم الفطرة، ،أنا أؤيد د كمال ولكنى فى مؤتمراته ..لا أهتم بأن أسلم عليه ،

قالت :

:- حسنًا، متبوعة برسم يعبر عن ابتسامة""

:وأنت لماذا تدعمينه؟

مممممممممم"

ماذا هناك ..تفكرين لماذا تدعمينه ؟؟!!

-أريد ولا أريد، .أن أخبرك ،

-من رأيي أن تخبريني

- إنه....

- إنه ..ماذا؟

- إنه ، أبى

أتمزحين؟!

-لا ..إنها الحقيقة!!

كتبت -الله المستعان "

ثم توقف كلانا عن الكتابة

اذا أردت أن تكتشف ..تعلقك بشخص حد فقدانه ،فارقه،فقط يومأن ..كانا كافيين..لأدرك أنى أفتقد حديثها وحروفها، هكذا الحب ،بعيداً عن أية تعقيدات فى تعريفه أووصفه

نجح والدها في الإنتخابات،كنت فى حيرة ،هل انتهى الأمر، أم مازال فى الحكاية متسع لنا، ترددت أن أفعل، جلست أمام شاشتى لساعات أفتح نافذة الرسائل ، أكتب وأمسح، حتي استقريت على جملة واحدة

"بالتوفيق لوالدك"

ساعات أخرى أمام الشاشة ..مترقباً ، .أن تدخل وتقرأ رسالتى .. تمت القراءة بالإنجليزية يكتب " seen هذه تعنى أن الرسالة قد وصلت وأن المرسل له قد قرأها ، الوقت بين هذه الكلمة وبين الرد على رسالتك يعنى الكثير، الأشياء العظيمة أحياناً تحتاج إلى وقت أكبر لتكتب وهناك أشخاص مميزون لابد من التفكير جيداً قبل الرد عليهم وهناك مراحل دائماً في بدايات التعارف

نحسب كلماتنا وحروفنا حتى ابتساماتنا نفكر قبل التصريح بها أما عن تلك المرحلة التي تكتب فيها دون أن تفكر فهى تعني ثقتك برصيدك في قلب هؤلاء الأشخاص لا تخاف زلاتك معهم

قرأتها ..ولم ترد .. قد يعنى ذلك أحياناً الصدود والتخلى , وقد يعنى أننى أصبحت مميزاً لا يليق بى الرد السريع لابد من انتقاء كلمات تليق بمشروع عاشق!!!

أوشكت أن أغلق حاسوبى وقمت واقفاً وقبل أن أغلقه بلحظة سمعت صوت رسالة جديدة منها ..قالت فيها:

- آمين وإياك

- أمسكت بها لن أدعها تغادر هذه المرة فقد أنتظرت كثيراً .. قلت :

-مبروك.. يا ابنة حضرة النائب متبوعة بابتسامة ....

لم ترد لفترة وأرسلت بعدها علامة تعجب "!"

أتحاول أن تسألنى لماذا أعطيت لنفسك هذا الحق ، هذه أحد عيوب الموقف التى لا ترى فيها وجه من تخاطبه حتى تقرأ تعابيره وتقرأ عينيه و تري حجمك فيهم ..

تجمدت أناملى وتوقفت عن الكتابة، وقعت في مأزق الحالة الضبابية أريد تصريحاً لأكتب وأتكلم معها ولكنها لم تعطه لى بل كانت تهنئتي محل دهشة بالنسبة لها !!!

وكالعادة ..فى مواقع التواصل ،ما لم تستطع قوله ..مباشرة فى رسالة ، تكتبه ..علي صفحتك ..والشخص المقصود سيقرأ، إن كان مهتماً ،

ما الحالة التى تشعر بها؟؟ ،وكأن المدعو "مارك "يسألنى ..هل تريد إرسال أى رسائل لها ؟؟..لم أجربك من قبل..أيها العالم الإفتراضي، ولكن لعلك بارع فى حمل رسائل المعجبين والمحبين ،خذ هذه رسالتي ،وكن أميناً، وانقل إحساسى معها ،إياك أن تنقلها بهذا البرود والجمود الذي تنقل به موضوعاتك التقنية .

إياك أن تكون بارعاً فى نقل المعلومات ، فاشلاً فى نقل المشاعر. كتبت على صفحتى ..

قد لا أعرف لكِ اسماً،ولا أعرف لكِ شكلاً،ولكن أعرف جيداً دقات قلبى حين أحادثكِ

بعد قليل أفتح صفحتها غمرتنى سعادة يصعب وصفها حين قرأت: " :قد لا أعرف لك اسماً ولا أعرف لك شكلاً ولكنى لم أعرف إلى الآن لماذا أشعر فيك بشئ مختلف..

لو كان لى أن اختار ،لحظات من حياتى ، لتستمر باقى العمر..لكان على رأسها تلك اللحظة،

بعد هذا التصريح كلمتها دون تردد ،قلت

-سيدتى ،أود أن أقول شيئاً لو تسمحين.

"ما أجمل هذا الحب الذي يجعل من رجل شرقي ينادى امرأة ب سيدتي "

- تفضل.

- لا أحاول أن أكون غامضًا أو غريبًا أو خياليًّا، ولكني أحترم مشاعري كثيراً..وأنصت لكلماتها جيداً،بالفعل لم أعرف أنكِ ابنته،!!

- وهل هذا شيء يشينني؟؟

لا أبدًا ..بل يشرفكِ ..ولكن يجعل حولك، كثيراً من الحواجز

كيف ذلك؟

وتابعت

آه، نظرتك لأبى ومن مثله، ونفورك منهم؟. !لذالك انقطعت عنى،لما أخبرتك، ولم تكلمني إلا لتهنئني!!!

- للموضوع أبعاد أخرى ،لا أعرف كيف أصوغه، أنا فقط لست من الذين ينظرون إليهم بانبهار أو حتى يعجبنى حالهم ،بإختصار لا أهتم،.ولا يبهرنى من الشخص ماله أوسلطته ولا يبهرنى الشكليات كثيراً

- ما يبهرك إذن؟؟

- صاحب المبدأ، صاحب الثقافة ،تبهرنى ،صاحبة الفكروالرأى ..

قالت بدهاء ..

- ماذا تقصد بصاحبة؟؟ لماذا التأنيث؟

استغللت هذا الدهاء وقلت لها

- هناك من لم نرى لهم وجهاً،ولم نسمع لهم صوتاً ،ولكن راينا عقولهم ،وفكرهم ،وكا نا كافيان ،جداً لإبهارنا،

- كعادتها حين تشعر بالخجل،ترد بكلمة واحدة

- "الله المستعان."

قلت لها :

- أنا لم أعرف اسمك حتى الآن!!!

- وهل تريد أن تعرفه؟

- إن لم يكن هناك ما يمنع.

- اسمي..

- هل نسيتيه؟

- لا لم أنسه ولكن خمنه ،

- نعم؟

- خمّن اسمي ..توقعه..

- هههه عجيب هذا !كيف أخمن اسمًا؟

- نعم ..خمنه.

- أنتِ جادة ، حسناً ، مممممممم ..اسمك هو

سأخمنه إن قلته أخبرينى .أبوكِ ذو ميول ،للأسماء الإسلامية فلن يسميكِ مثلًا باكينام ولا صافيناز،قد يسميكِ ، إيمان أوهدى أونور أوتقى أو،

فقاطعتني:

أنت قلته ،.نور أوبالأدق نورهان ولكن كيف عرفت!!

لا تعرف ..أني فتشت بصفحتها لأعثرعلى شي يشيرإلى اسمها ،أحد التعليقات لديها يناديها باسم "نور."

فى بالى ..أهلًا بكِ في عالمي" ..نورهان"

سألتها عندما أخبرتنى أنها تدرس طب الأسنان:

-هل تعرفين ماذا يعتقده الناس عن الإسنانجية ،

-لا ؟

قلت:

-الأسنانجية أشخاص فى غاية الوسامة دائماً ، وهم فى الغالب أيضاً أشخاص غيرودودين !!

سكتت فهي لا تعرف هل تشكرنى على المجاملة أم تغضب منى على وصفها بغير الودودة ..

_ .قالت

-غيروددودين ؟؟!!

-نعم غير ودودين ، الإسنانجي، يمسك بالآلة "جزء من فم الشخص وينتزعه نزعا ولا يستطيع المسكين أن يدير بوجهه عنه وعندما يري الشخص من يؤلمه يتضاعف الألم ، لذلك هم غيرودودين ،

ردت بإبتسامة متبوعة بعلامات التعجب ثم قالت

-وأنت ..ماذا عنك ، ماذا تدرس ؟

قبل أن أتكلم، تابعت هى ،

- أنت تدرس الإعلام ، فقد أرهقتني اسئلة ، تحب دراسة الإعلام وتحب الكتابة بالتأكيد لا حظت ذلك فى كلماتك

قلت

- لست وحدى من يكتب أنتِ أيضاً تكتبين جيداً

- لا أكتب كثيراً ، أحب التعبيرعن ما في نفسى أحياناً..

تابعت

-منذ متى بدأتِ الكتابة ، يانور ؟

-فى العيد الكبير

ضحكت وقلت مستغرباً

-وما علاقة العيد بالكتابة

- سأخبرك ولكن عدنى بأنك لن تسخر من كلامي ..

حسناً سأحاول ..

قالت وقتها أكثر شيء أضحكنى فى حياتى كلها ، لم أذكر يوماً أن ضحكت بهذا القدر ..حين قالت :

أحد أعياد الأضحى بينما كنت فتاة صغيرة ، كان أبي قد اشترى لنا عجلاً ..كأضحية .بعد الذبح وجدت فى الموضوع بعض الإلهام فأمسكت بورقة وقلم وشرعت أكتب

لحم العجل يا لحم العجل

أكلناه بشوربة وحزمة فجل

ومسبناش منه لا راس ولا رجل

قرأت تلك الكلمات ثم وقعت على الارض وتقلبت عدة مرات من الضحك .

ظلت تنادي على وتكتب .

-عمر ، عمر ، عمر ، وعدتنى أن لا تسخر بى هى بالتأكيد تعرف أننى لن أستطيع منع نفسى من الضحك بعد هذه الكلمات

بعد دقائق استطعت أن أتماسك من الضحك وأرد عليها ،

ولكنها قالت :

-أستاذنك أبى يناديني

-تفضلى ولكن لو سمحتى ،أخبريه أننى أحبه كثيراً

-نعم !! .

-لا لاشيئ ،سلاااام

-سلام

تعجب بفتاة ،.وتهتم لأمرها كثيراً ،ولم ترها من قبل ، .ولا تعرف عنها سوى القليل،تحكيه حروف رسمتها أناملها، .وأفكار حملت اسماً مستعاراً لها، رغم تسميته عالماً افتراضياً أو وهمياً ،لكن تبقى سعادتك حقيقية ..وألمك حقيقى..واهتمامك حقيقى..وانتظارك وشوقك حقيقيان ..تشعر به يأخذ شيئاً من روحك ،فكرك ،قلبك ،عقل ..يحبس أنفاسك ،ويعقد لسانك عن الحديث حين، تتجمد أناملك على الحروف ،لا تعرف ماذا تكتب،.. حتى وإن كان عالم افتراضى،ولكن يبقى الحب دائماً حقيقى ، فى أى زمان وأى مكان وبأى وسيلة .

لا تخبر أحداً عن حبك أنت في غني عن إحباطهم وتهكمهم،يتناقلون الأخبار والمعلومات يوميا عبره ..وحين يذكر الحب ينكرونه،أشغالهم وأعمالهم،ويكسبون أرزاقهم من خلاله ..وعند الحب ،يقولون إنه عالم وهمى !!!

الحب كالشلال لا يسكن ولا يهدأ تنجرف معه حيث يأخذك ، لا يعطيك فرصة حتى لترتب أوراقك وتجيد لعبته دائماً ما يسبقك بأعمار تجري خلفه تسابقه تحاول ولو مرة أن تخطو خطوة تسبقه فيها وتحكم عليه سيطرتك بها.. ها هيي تقول لى أنها لن تكلمنِ ثانية فهى تشعر بذلك أنها تخون ثقة أبيها وأمها ،

قلت لها

سأستأذن منهم ..سأخبرهم!!

- تخبرهم،كيف ؟!

قبل أن أرد ، أسألكِ سؤالًا

- عن ماذا تبحثين في الحياة ؟

- لم أفهم سؤالك

- مممممم هناك من يبحث في الحياة عن المال والسلطة وهناك من يبحث عن القوة والشهرة وهناك من يبحث عن .....

- عن ماذا

- هناك من يكتفي بالحب !!

سكتت قليلاً ثم قالت

- أكتفي بالحب حين يحويه صدق ودين

لأن الحب نجتهد في إخفائه ولا يحتاج منا الكثير لإظهاره فيكفي أن تكون طبيعيا مع من تحب حتى يشعربك، وجدتنى أقول :

نور..

نعم.

أنا ،

أنت ماذا؟

نووور أنا..

- أنت ماذا

أنا بصدق ودين أحبك

لم تقل أكثرمن ..

الله المستعان ".

أيها الحاسوب على مهلك، تمسك بجمودك قليلاً، من أين لك بهذا الإغداق من أين حصلت على هذا الكم من العاطفة كيف أصبحت بارعاً هكذا في نقل المشاعرلم أكن أدرك أنك تملك هذا القدرمن الرومانسية وتستطيع أن تهب السعادة هكذا.

ماذا يفصلنى عن حبى سوي لقاء يجمعنى بأبيها فليكن سأذهب إليه أذهب إلى أبيها دون حتى أن أخبرها متخيلا أننى بذلك أنني أفاجئها فالنساء يعشقن المفاجئات ،

أول من فكرت فى إخباره كان أبي ،فرح كثيراً بالأمر وقال لي مازحاً من أية طائفة أخترت هذه المرة أرجو أن لا تكون بوذية !!

ضحكت وقلت :

- لا تخف من هذه النقطة يا أبي ، بالعكس تماماً إنها في منطقة آمنة من هذا

- قال ولم تفارق الابتسامة وجهه بعد

من هي إذن ، أخبرني

- إنها ابنة الدكتور كمال الدين

تغيرت ملامحه فجأة واعتدل في جلسته لا أعرف أين ذهب وجهه الذى كان يضحك !!

قال لى بترقب :

كمال الدين "نائب البرلمان" !!

- نعم هو..

سكت كلانا بينما ملامح وجهه تقول الكثير..

قلت :

- مالأمر يا أبي .. أهناك خلل !!!

- حاول أن ينكر هذا الأثر على وجهه قائلاً..

- لا تذكرت أمراً ليس بالمهم ...

"قام أبي ولمس بيده وجهي كأنه يواسينى أو يعتذر لا أعرف أرعبتنى هذه الشفقة التى لمسنى بها ، وأراد التوجه إلى غرفته فأخبرته قبل أن يتحرك أننى حددت موعداً معه اليوم !!

زادت تعبيرات وجهه قلقا وتوتراً فقلت له متجاهلاً ما يدور بذهنه ، حتى لو لم أعرفه ولكنى أشعر أنه شيء لا يروقنى سماعه، لا أريد أن أعرف التفاصيل فالتفاصيل شيء مؤلم غالباً

- أبي فقط أخبرنى هل سنذهب إلي الرجل أم أخطأت حين حددت لنا موعداً اليوم

رمقنى بنظرة ثم قال كمن لا يجد خياراً آخر

- أعطنى خمس دقائق لأستعد وسأذهب معك ..

من لحظات سعادتى لحظة ركوب سيارة أبى هذا الموديل القديم ولكن هذه المرة أبى مختلف ، في كل مرة كان يركب فيها كان أول شيء يفعله وضع شريط كاسيت لأم كلثوم إنه يقرر أى غانية سيسمعها قبل أن يعثر على المفاتيح ولكن هذه المرة ركب وقاد غير منتبه لما يحدث حوله، يبدو أن هناك

أمر خطير يشغل باله ،منذ أن ذكرت أمامه اسم الدكتور "كمال الدين " ليس من المعقول أن يكون السبب وراء شرود أبى لهذه الدرجة هو انتماء الدكتور "كمال" بالتأكيد ليس بعد ثورة يناير!!

وصلنا إلى المكان ولم ينطق أبي بكلمة، الآن أدركت من أورثنى الصمت ، إنه ابي الذى تسربت إلى بفضله هذه الصفة الغير عادية قرأت ذات مرة أن الورقة الرابحة دوماً في حياة العظماء هي الصمت ،

وصلنا إلي مكتب الرجل، هناك الكثير من الناس ينتظرون أن يؤذن لهم بالدخول انتظرنا دورنا أسرعت بنفس المقدار الذي تمهل به أبي، أبطأ أبي كأنه مجبر ومضطر للدخول، دخلت أنا مسرعاً حتى لا ينتظر الرجل كثيراً ، استقبلنى الدكتور " كمال " مبتسما ابتسامة صغيرة ، وبمجرد دخول أبى خلفى طارت هذه الابتسامة من وجهه وقام من على كرسية واتسعت عيناه ونظر لأبى نظرة بها شرر كاد أن يحرقنا من شدة الغضب الذى به

لا أعرف ماذا يحدث هنا ، هل يعرفان بعضهما ، قاطعت تلك النظرات بينهما بان أشرت إلى أبى بالجلوس وأنا أمامه بينما جلس الدكتور كمال أيضاً، ولم يتكلم الإثنان أو تكلما وقالا الكثيروأنا لا أسمع ، في محاولة منى لجعل الأمرطبيعي ، بدأت في التعريف بينهما

أبي هذا الدكتور كمال

دكتور كمال هذا أبي إنه يعمل ب..

قاطعنى الدكتور "كمال " وقال

- إننى أعرف جيداً ماذا يعمل والدك وهل يخفى الظالم!!

- ظالم ! أبى يعمل في الجيش يا دكتور!!!

هنا تخلي أبي عن صمته وقال

- يبدو أننا لم ننسي الماضي يا شيخ كمال !!

رد الدكتور كمال بسخرية ممزوجة بغضب :

- ماضي ... هذا لم يكن ماضي يا " باشا" .. كيف يكون سوطك مكون من مكونات جسدى وتقول لى أنه كان من الماضي !!

- أبى أريد أن أفهم ... ماذا يدور .. هنا

فوجئت بالدكتور "كمال " يديرلى ظهره بعد أن صارعارياً فوجدت طبقة من السياط كانه ما زال يضرب، ما هذا المنظرالبشع، أرفض من داخلى أن أتوقع ما يعنيه ذلك،

ثم قال بعد أن غطى ظهره واعتدل ثانية :

هذا ما يحدث هنا،

نظرت إلى أبي أستجدى رده استجدي نفيه لما يشير إليه الرجل ولكنه لم يحرك ساكناً ، الآن فهمت لماذا تغيروجهه وتبدلت أحواله حين سمع الاسم ، حال بينى وبين الكلام عقدة في لسانى صنعها ما يحدث حولى ولكن ثم شيء غامض ...قلت :

- ولكن أبي يعمل في الجيش لا يعمل في الشرطة

نظر"كمال" بدهشة وقال

- لابد أنها إحدي ألاعيبهم الخبيثة

هنا استشاط ابى غضباً ثم قال له

-انتبه لما تقول ، الجيش لا يلعب ، لا يغرنك ما أنت فيه الآن ، ثم أنه من الأولى لك أن تتفهم موضعك ومسئوليتك جيداً ، وأن تحسن نسيان ماضيك

حتى تستطيع التعامل بحكمة مع مستقبلك، ولكنك الآن لا تحسن استغلال ما انت فيه !!

-وقف د "كمال " هو الآخر وقال له

- لسة بحاجة لنصائح من جنرال عسكري ، انتهى زمن هذه العنجهة الكاذبة ، يجب أن يلتزم كل منا بمكانه ، لو كنت أنا لم أنسي الماضي بعد فأنت لا زلت تعيش فيه

نظر إليه أبى بسخرية وقال له

- احذر من رغبتك في الإنتقام وإقصاء الآخرين ، هذا يسمى الغباء السياسي

ضحك هو الآخر وقال :

نحن لم نقصي أحداً الشعب هو من اختارنا دون غيرنا

- لا تفرح بالشعب كثيراً فجماعتك لا تعرفه كما نعرفه نحن، فالشعب كالموجة تحركه الريح ولا أحد يملك الريح دائماً

- لا تحاول قد شبع الناس من سياطكم

ضحك أبي وقال له

أنتم أيضاً تحملون لهم السياط دون أن تدرون، فالسوط لا يجلد به فقط، بل هناك سوط، وعد المؤيد بالجنة والمخالف بالنار

- نحن لا نوهم الناس بشيئ ، يبدو أن الوهم مرض عضال لديكم ، توهمون أنفسكم أن الكل غيركم شر وأن الجميع سواكم للوطن ضر ، ولكن الشعب يعرف جيداً أننا لا نحمل له سوي الخير

، وقفت بينهما مذهولاً، يالله ماذا يحدث هنا ، لم أتوقع أن تكون أول لبنة في بناء "قصة حبي" صراع أيديولوجيات وتصفية حسابات بين أبي وأبيها ، لماذا أرى أمامى جداراً منيعاً وسداً حصيناً يحاول قلبى أن ينبض فلا يستطيع وأنفاسي لا ألتقطها بانتظام يبدو أن هناك مؤامرة مدتها سبعة آلاف سنة بدأها القدامى ووصلت ذروتها في الستين سنة الأخيرة، الكل تآمر على أن لا يتم قصة حبي ، الكل تآمر على وجعي على الحيدة بيني وبين أحلامي ، هذا وجه لم أكن أعرفه من قبل عن ابى وعن أبيها ، أكثر ما أحزننى أنه لن يسمح المجال اليوم للحب ، تتجدد عداوة قديمة ليس لنا ذنب فيها ، سنكتفى بتلك المعركة الكلامية بينهما.

قال الدكتور "كمال"

- لم جئت اليوم سيدي الجنرال ، هل هناك مشكلة أو أزمة وقعت فيها وجئت تطلب منى نجدتك ...

- قبل أن يرد عليه أبى بهجوم آخر أشرت إليه ان يأذن لى بالكلام ...

- فقلت

- لقد جئنا اليوم لنطلب منك

وهنا قاطعنى قائلاً

- أريد أن أسمع أبيك !!

قلت

- وما الفرق ..

قال

- الفرق كبير جداً، فأنا أريد أن أسمع من أبيك وهو يطلب منى

بدأ الغضب يتسرب إلي من هذا المعنى الذى يسعي خلفه، فقمت واقفا وقلت

-إما أن تسمع منى أو تسمح لنا بالإنصراف !!!

قال بإصرار

- إما يتحدث أبيك أو تتفضلا..

قلت

- دعنا نذهب من هنا يا أبي

امسكنى أبى من يدى وأجلسنى وقال

-دعنى أتحدث

ثم توجه إليه قائلاً

- لقد جئت اليوم نريد أن نخطب ابنتك لابنى "عمر"

ابتسم بسخرية وقال

- هل تعرف أنها ابنتى قبل أن تأتي ؟؟

- نعم أعرف ...

دهش الرجل وقال

- ومع ذلك أتيت لتطلبها لابنك !! أخبرنى ماذا يدور في داخلك أخبرنى تصورك عن ردي أتتوقع مني أن !!

- بالطبع سترفض

- ولماذا أتيت ...

- كنت أظن أن هناك فرصة للتغير وفتح صفحة جديدة وقبل كل شيء أردت أن يري "عمر" وجها من أوجه الواقع، حقيقة سيسألنى عنها كثيراً لو لم أكن أمامك اليوم، اختصرت بذلك عمراً من التساؤلات!!

- وأنت !!

- وأنا ماذا

- طالما سترفض .. لماذا قابلتنا اليوم

- لأراك تطلب شيئا وترجع منكسراً حين تعجز عن تحقيق ما يسعد ابنك ، لقد اخبرتنى " نورهان " الاسم لا تتخيل كم دعوت أن تكون أنت فعلاً

- لا تفرح بالانتقام كثيراً، فالشخص الذى يشغله الانتقام لا يجد وقتاً للإنجاز

- لا تحمل هم الإنجاز، اترك الأمر لنا، نحن لن نخذل الوطن كما فعلتم انتم

- أي خذلان هذا الذي تتحدث عنه ؟؟؟

- ضحك بسخرية ثم تحول هذا الضحك فجاة لصراخ وهو يقول

- واى خذلان أعظم من قتل وتعذيب المواطن بحجة الامن، وأي خذلان اعظم من تذيلنا كل الأمم بعد سنوات الحكم بالحديد والنار على أياديكم قتلتم بالفقر والمرض والجهل قبل أن تقتلوا بالرصاص

رد عليه أبي

- الآن أكدت لي أن عمركم قصير، وأنه لن يقضي عليكم سوي فكركم وأسلوبكم ، ومع ذلك لن أقف هنا مدافعا عن انجازات أو أشخاص أو مبرراً لأساليب

أمسكت بأبي من يده واخبرته أننا يجب أن نغادر قبل أن يتطور الأمر إلى شيء أخطر

رن الجرس فدخل رجل علينا وأخبره أن يوصلنا إلي الباب تبادلا النظرات لحظات قليلة قبل أن نغادر لم أستطع قراءة اعينهما فأنا لم أكن أري في عينيه سوي عينها، كنت أراها هي تأفل وتغيب عني في كل لحظة صرخا فيها وكل كلمة اتهام ، كل لحظة عداء كانت تبعدها عنى

بحثت في قواميس اللغة والمعاني والمصطلحات حتى أجد شيئاً أدافع به عن حلمي وعن حبي عن طموحي، عن عقلي، لم أجد

طوال طريق العودة وانا وابى نثرثر صمتاً نتكلم دون كلام نتجادل وتعلو اصواتنا أحيانا دون ان تخرج حتي، الآن فهمت لماذا كان صامتا فها أنذا انضم إليه ، وصلنا إلى البيت أوقف ابي السيارة ولكننا لم ننزل، يبدو أن هناك بعض الصمت لم يقال بعد!!!

قاطعت صمته أعتب عليه

- كان أولى بك أن توفر علينا مهانة اليوم وتقتصر علينا هذه الأوقات السيئة

نظر إلي، بدا على وجهه أنه يريد الإعتذار ولكن لمن سيعتذر وعلى أي شيء سيعتذر وهل عليه وحده يكون ذنب هذا المناخ المؤلم !!!

"قبل أن يتكلم نزلت من السيارة وتوجهت مسرعاً إلي البيت فغرفتي مباشرة وأحكمت إغلاقها تماماً

إياك أن تصدق هذه الشعارت والخطب الرنانة كلمة التساوي هذه امسحها من قواميسك العدل ليس هو ميزان البشر الحياة بجملتها ليست عادلة والبشر ليسوا عادلون أيها القلب وما تشعر به أنت في ميزان هؤلاء لست سوى مجرد هراء يحمل الترهات .

إياك أن تظن يوماً أن لأحلامك قيمة لدى أحد أو تعتقد أن قيمتك تعني أحدهم ، قليلون هم من يروننا كما يجب أن نري ، قليلون هم من يرون ما بداخلنا ، نادرون جدا هؤلاء الذين يجعلوننا لا نندم أننا جئنا لهذه الحياة هؤلاء الذين لا يجعلوننا نندم على انسانيتنا وبشريتنا . حروب عالمية أشعلها أشخاص مختلين راح ضحيتها عشرات الملايين من الأرواح، هذه قصة جنون شخص واحد فقط ولكن قصة حب شخص لا يكون فيها الضحية إلا هو والجانى يكون كل شيء ،

فتحت حاسوبى وأدركت ، أن الأمر وصل لطريق لا عودة منه

كتبت لها:

- نور استودعكِ الله !!!

تمنيت أن لا تكون موجودة ولا ترد ولكنها كانت تنتظر فجاء الرد

- الله المستعان ،

- فقط ، الله المستعان

- نعم فقط الله المستعان

" تجمدت أناملى ،تسمر جسدي لدقائق ظل مستوي الألم يرتفع ثم يرتفع حتى وصل منسوبه لحد لا يطاق ولا يحتويه قلب، وكلما حاولت أن أشغل نفسي بشيء غيرها انشغلت بها أكثر أصرخ واستغيث صامتاً .. كان الصمت الذي يسبق الإنفجار، دخلت في نوبة بكاء لم تحدث لى من قبل، بكيت كما لم أبكِ يوماً.

ساعات أبكي وحدي في غرفتى وأكتم صراخي بوسادتي القطنية حتى لا يسمعنى أحد ، أصبر نفسي وأقول سأهدأ بعد ساعة أو ساعتين أو ثلاث أو يوم أو يومين ولكن الألم يتضاعف إنه الأكسجين الذي يبخل العالم به عليك تكاد تتنفس بصعوبة لم أكن أدرك أننى وقعت صكًّا بأن يمتلك أحدهم

روحي ومفاتيح فرحي وحزنها،استغاث قلبى بيدى وتوسل إليها أن تطلب النجدة ، أن تكتب أن تصرخ فكتبت :

- نور ،هناك من يموت الآن ولا يجد من ينجده."

بعدها بثانية واحدة وجدت رسالة منها

مالك؟ عمر..

أأنت بخير؟

- لا ..لاشيء سوى أنني أحتضر ..

-عمر ..أرجوك ...

- ظننتكِ أغلقتى حسابك للأبد!!

- للأبد!! ، عمر أنا منذ ساعات وأنا أنظر إلى صفحتك و ،

- وماذا،..يا نور؟؟؟

- أبكي.. يا عمر.... أبكي..

- نور أنا أيضاً،أنا..... الله المستعان ،

قالت

- أنا لم أبكِي هكذا من قبل ..لماذا يصعب عليّ فراقك هكذا؟ أنا أحبك يا عمر ..أحبك ..أحبك..

ما هذا الحب الذي ولد باكياً ، لحظة كهذه تستحق أن تدون في كتب التاريخ يجب أن يعتبرها العشاق من اللحظات الفارقة كيف لكلمة من أربعة حروف ك "أحبك " أن تقضي على الحزن من جزوره دون أى طبطبة أو مواساة أو حتى تلك الكلمة البائسة " معلش " فقط "احبك"

*** * * * ***

اللقاء الأول

من منا لا يمشى في الشوارع ،دائماً تائهًا ،كالذي فقد شيئاً ..ينظر هنا وهناك يسرح في يافطة ،.أو إعلان، هنا عيادة، وهنا محل وهنا صيدلية التقوى، . وهناك محل الأحذية، .وهنا تم بحمده تعالى افتتاح أيّ شيء، تلك الفتاة التي تنظر من شباك بيتها في الدور الخامس، شعرها ناعم كالحرير يبدو أنها جميلة ورومانسية فهي تنظر إلى السماء وتختار دائماً وقت الغروب،، .كل ذلك يأتي في خاطري وأنا أجلس في "الميكروباص "في الكرسي الثالث بجوار الشباك.

تمشي في الشوارع،،.غربة في داخلك وأسئلة كثيرة ..من هذا الرجل الذي يمشي هناك، .وهذه المرأة من عائلتها، وهذه االفتاة أهي مرتبطة أم هي في قصة حب أم هي معقدة، ..وهذه المرأة وزوجها أهم سعداء في حياتهم، هل كما نسمع أن الحياة الزوجية كلها مشاكل وهموم؟؟

ركاب القطار المار ..هل منهم من أعرفه ؟؟ إلى أين يذهبون ومن أين يأتون؟؟ هذا الميكروباص أو الأتوبيس الذي يحمل ركابًا هل سيصل إلى وجهته بسلام أم مقدرله شيء آخر؟؟ من المؤكد أن منهم من يقرأ لأحلام مستغانمي ويدندن مدرسة الحب ويفتقد الحب .

أعتقد أن كل من أقابلهم أعرفهم أو سأعرفهم يوماً ما ،أو سيعرفونني يوماً ما، أم سأموت دون أن يعرفني أحد نعم سأموت وكلهم سيموتون ولن نعلم

ولن نتأثر وسيكون هذا الشارع مليء بالمارة من يذهب إلى عمله، يذهب إلى بيته، من يذهب إلى قاعة فرحه ومن يذهب ليشتري سيارة جديدة، ومن يذهب لمقابلة حبيبته ومن يذهب ليفارقها ومن يجهز أوراق سفره ، ومن رجع من السفر كل هذا سيحدث فوق التراب بينما يتمدد جسدى تحتهم يوماً !!!

أصل إلى مكان لقاءنا الأول بالتأكيد نريد شاهداً مميزاً عليه وأين سنجد شاهداً كالبحر ليوثق حبنا لم أجد صعوبة فى تمييزها فالملائكة دائماً ما يختلفون عن البشر، كانت تجلس ليس بينها وبين البحر شيئاً يبدوا أنها كانت تقول له شيء قبل أن أصل أتمنى أن يخبرنى البحر يوماً ماذا قالت له .

ميزها عن غيرها ارتباك اللقاء الأول، توترها الشديد الواضح للقاصى والداني فى حركة قدمها اليمنى التى لم تتوقف عن الإرتعاش والطلوع والنزول وقد بدأت أيضاً في أكل أظافرها وهذا ليس جوعاً بالتأكيد،

كأنك ترسم لوحة لامرأة منذ عشرات السنين وأنت تحلم بها ..وتتمناها وترجوها خالية من الشوائب عالية عن البشر،لوحة ترسمها بقلبك وعقلك وكيانك ، امرأة تمنيتها قبل النضج وبعده قبل الحب وبعده قبل الموت وبعده تمنيتها قبل كل شيء وبعد كل شيء وأن تكون هى الشيء.

ولدت فناناً موهوباً ، وكل ما حولك سخر لك فقط لترسمها،الطبيعة والشجر حتى الحجر قلم ترسمها وحدك بل رسمتها معك الحياة .

رسمتها بلحظات ضعفك ولحظات قوتك رسمتها بالآمك وجراحاتك وخيباتك وانكساراتك ..رسمتها بطفولتك وشبابك وشيخوختك رسمتها بجسدك وروحك بعينك وقلبك ،

رسمتها بوقت شعرت فيه بالوحدة وحولك الكثيرون ، رسمتها بوقت شعرت بالحنين والإحتياج لشيء مجهول ، رسمتها بوقت كنت تعرف فيه أنك ستتذوق طعم الشوق وستستنشق طعم الحب ولكنك لا تعرف لذلك زمان ولا مكان..

آن لك أن تتوقف عن الرسم وتبدأ فى إزالة هذا الغطاء عن لوحتك لتتجسد أمامك فى امرأة ستقابلها اليوم ، فى موازين الوقت وحساب الساعة أنت تقابلها لأول مرة ولكن عندما تقابل أحدهم لأول مرة يكون هناك تحفظات كثيرة على اللقاء ..أما أن تقابل شخصا تحبه شيء مختلف وإحساس مختلف ويحتاج الى زمن مختلف وحسابات وموازين مختلفة!!!

إن اليوم الذى تخرج رسمة من على جدار الروح وورق الأحلام لتقابل صاحب الريشة التى رسمتها لمشهد عظيم لابد أن تشهد عليه مدينة عظيمة كالأسكندرية ، المسرح الذي سنقيم عليه حفلنا..

لماذا كل شيء مختلف ، بدأت الآن أدرك أن السر وراء هذا الكون هو الإختلاف ، بين الحزن والفرح بعض الإختلاف بين الموت والحياة إختلاف ، وبين الحب واللا حب وبين العقل والجنون مجرد إختلاف ..وبين "نورهان" وبين باقي نساء الدنيا كثير من الإختلاف ، الإختلاف هو السر ومعرفة الإختلاف والإحساس بعمقه هو الحكمة بعينها !!!

الصمت، عنوان اللقاء، وبدايته وأثنائه وخاتمته لم نتكلم ولم نهمس، جلس كلانا ننظر إلى البحر بعض الوقت كأننا نرسل معه الرسائل لبعضنا، لم نشعر بالضجر من السكوت، فما كنا نحتاج أن نقول شيئاً، الكلام هذا سبيل المبتدئين في الحب ، أما الأقوياء في الحب ، لا يتكلمون،

حفظ البحر شكلنا جيدًا وأصبح يميز ملامحنا ..حتى لو زاره الملايين، فأصحاب العشق الحقيقيين يميزهم البحر دائماً ويعطيهم ما لا يعطي غيرهم، ويسمع منهم ويصدقهم ولا يعتب عليهم أبدًا ولا يؤنب ضميرهم

-"يقال أنه ثمة أول مرة لكل شيء "..

في آخر مقعد بالسيارة ، .تميل برأسها نحو الشباك ..من إنهاك وتعب اللقاء الأول الذي انتهي صامتاً، أمسكت بيدى اليسري رأسها ووضعتها على كتفي فاستسلمت ونامت كان قلبى وسادة لها ،وكانت هذه مكافأة اللقاء الأول

طوال طريق العودة نامت نوماً عميقاً على صدرى كطفل صغير أرهقه الحب وأنهكه تسابق دقات قلبه فرحاً ، أردت لو أوقفت الساعات فهذه لحظة تستحق أن تستمر إلى ما لا نهاية.

، كلنا نبحث عن الشرعية قبل التمكين والشرعية حين نمكن والشرعية بعد التمكين والشرعية بعد زوال التمكين وحين تبحث فى كل الأحوال لن تجد الشرعية أبداً موجودة .

هذا الذي تزوج من إحداهن أمام كل الناس وبأوراق ثبوتية مؤكدة يعتقد فى قرارة نفسه أنه بهذا قد تشرعنت العلاقة ولا يلقي بالاً

لغياب الشاهد الثالث والأهم فى الزواج وهو الحب ..

وبينما كنت ونور نبحث عن شرعية لحبنا واعتراف من الجميع بسيادة الحب كان هناك صراع أكبروأوسع، الكل أصبح يمتلك شرعية خاصة به شرعية الصندوق وشرعية المعارضة وشرعية الحرية وشرعية التعبير وشرعية التداول وشرعية الإنفراد .

في مثل هذا اليوم ومنذ عامين كنت قد أكملت العشرين من عمري ولكن الأعمار لا تقاس بالسنوات هذين العامين شعرت بكل دقيقة تمر كأنها عام ، بل بالأحداث، كل يوم نستيقظ لنعيش قصة جديدة واحساس جديد قد تكون قصة ألم أو قصة موت أو قصة حزن أو قصة حلم أو قصة حب تحرك فلم يعد لدينا الوقت الماء الراكد ولكنه أصبح يتحرك حركة سريعة جداً ، لننتبه حتي إلى مخاوفنا ، وهذا يوم جديد يأتي ليخبرنى أن عاماً قد انتهي من عمري و عام جديد سيبدأ ينتبه الإنسان لعمره يوماً واحداً في العام لكل منا وقفة مع نفسه في هذا اليوم ، يقف أحدهم لحظة واحدة حين يتذكر ولا فارق لديه وآخر يقف أيام يخطط للعام الجديد وآخر لا يقف أصلاً ولا يفكر وقد لا يتذكر إلا بعدها بأيام حين يذكر أحدهم التاريخ أمامه فيخبط بيده على رأسه ويقول .. كيف لم أتذكر يوماً ولدت فيه !!

أن يمثل لك أحدهم الإستغناء عن كل شيء ويصبح هو كل احتياجاتك،

يسمي شعور الكفاية وهو نادر، ولكن إن حدث فكن حذراً فعند غياب هذا الشخص لو اجتمعت الدنيا محاولة تعويضه لن يستطيعوا،

أصعب مراحل الحب هي تلك التي نفقد فيها السيطرة على كل شيء ونصير مجرد أداة يحركها هذا الحب ، فتدرك وقتها أن حب الجسد جزء لا يتجزأ من الحب ..فإن أحببت أحداً أحببت تفاصيله وأحببت امتلاك أشياءه واحتلالها

وتوطيد ملكك لها قد يقع في العشق قديس ولكن لا يصبح العاشق قديساً ،إياك أن تدعي القداسة وإياكِ أن تدعي الرهبنة وتدعيا معهما العشق، فهذا أكثر ما ظلم به الحب يوماً أن جعلو منه حراماً وحلالاً.

لست أنصب الموازين القسط لأحلل حراماً أو أحرم حلالاً ولست في موقف الباحث عن موعظة أهل الطرد من الغفران ولا أنتظر من أحد تخويفي من النار أو ترغيبى في الجنة فالحمد لمن جعل حسابى عند كريم

لست سوي قلب يحب وجسد صدق هذا الحب واتبعه بعفوية وعنفوان وفسوق مراهق وزهد درويش متجول وجوع وظمأ واشتياق أنا لم أجني على أحد سوي نفسي ، أنا الذي أمسك بطرف الحبل وساعد العشق أن يلف أحباله حول عنقى حتي أنني لم أحتفظ لنفسى بشيء مني.

في بدايات عام دراسي جديد ، يستأجر أبوها شقة لها بجوار جامعتها ..وكأنه يعطيها لنا هدية لتصبح بديلاً عن الحدائق والشواطئ التي نتقابل فيها ، وملاذاً لنا من عيون الناس،

أعطتني نورهان العنوان في الهاتف وأخبرتنى عن "حسن البواب وزوجته مريم " حاول أن لا يشعرا بك لأنهما يعرفان أبى جيداً وقد يخبرانه عنك، أصل إلى البيت مرتدياً ذلك المعطف الأسود ، ألبس نظارة سوداء ، وأحول

هذه الرهبة بداخلى إلى ثقة ظاهرية، تمنع أي أحد أن يسألنى عن هويتى وإلى أي شخص في العمارة أتوجه ، وبالفعل أدت هذه الحيلة غرضها تجاوزتهم ولم يتجرأ أي منهما حتى أن يتملقنى بنظرة،

عمارة سكنية قديمة أربعة طوابق ، من بيوت الأسكندرية القديمة منزل كالجدة العجوز التي تعرف قصة حبنا وتخفيها عن الجميع وترعاها وتحاول الحفاظ عليها وهي الشاهد الثاني بعد البحر ، شاهدة على قبلة أولى واحتضان أول شاهدة على قرب يزيد الشوق شوقاً شاهدة على ليال كنا فيها عراة من كل شيء سوى الحب ، شاهدة على أوقات ذرفنا فيها دموع الخوف ، شاهدة على ألم السعادة ، وجمال الحزن.

شهدت مزج القلوب وخلط الأرواح كانت الجدران تبكى معنا إن بكينا وتراقصنا حين نرقص ، نعم كنا نرقص، وكيف لا نسرق لحظات ونحن معاً لنكون كزوجين من العائلة الملكية يشاهدنا الملايين من الرعية يتعلمون الحب من حركات أيادينا ويكتشفون العشق من نظرات عيوننا ا

لم نكن بحاجة لزي الأمراء حتى لنقوم برقصة العشق هذه ..

فى هذه الشقة كنا نمارس الحياة، بل نصنعها، نكتفي بأنفسنا ،نتجاهل الوجه السيئ للحياة لم يكن لدينا وقت لنختلف نعيش كل لحظة بكل تفاصيلها بلا قيود ولا حدود حتى أصبحت القيود نفسها ليست قيود ..

أدخل وأنا مازلت متلبساً بتلك الهيبة التى اصطنعتها مما جعلها تندهش فهى لم ترانى من قبل متانقاً وألبس بهذا الشكل الرسمي حتى أنها فوجئت ووقفت بعيداً عن الباب لثوان لم تستقبلنى بهذا الحضن الذي اعتدته منها كلما تقابلنا حتى لو كنا في أحد الميادين وحولنا ألوف من البشر فالحضن هو وسيلة التواصل الروحي وسيلة يرمى بها كلانا بكل شيء يحتويه بداخله على الآخر فنتشارك خيباتنا ونحتضن اوجاعنا التى تذوب مع أول لمسة بيننا ، وقفت على مسافة منى هذه المرة كأنها تري شخصاً جديدا تحاول التعرف عليه أخلع عنى نظارتي وأغلق الباب من خلفى وكأنها كانت تنتظر الإذن من عينى ارتمت في حضنى مسرعة ، نورهان أقصر منى حتى أن رأسها دائماً لا يجد مكانا يستند عليه سوي قلبى ، لم يقاطعه سوي حركة أخرى مجنونة حين أحضرت لي خاتمًا تريد أن تلبسه لي في كفي الأيمن فرفضت ،سألت متعجبة ، لمَ أرفض أن ألبسه أخبرتها أن الأزواج لا يرتدون خواتمهم فى اليد اليمني ،كنا نفعل كل شيء، أخذت مني كل شيء ..وأنا لم أترك منها شيئاً لأحد بعدي.

رن هاتفي ونحن معاً فكان أبي هو من يتصل وضعت الهاتف على أذني وبدأت في الكلام :

- أهلاً يا أبي ... أنا هنا في الاسكندرية معى "نورهان ابنة الدكتور كمال الدين

صرخت وهبت واقفة وهى تسب وتلعن وتسود النهاروااليوم

- وقعت على ظهرى من الضحك ، ولم تهدأ حتي أخبرتها أنني ضغطت على كلمة صامت ولم أرد ..

أنا لست ذلك الرجل الباهت البائس الذي انتهى من تجهيز مسكنه وانتهى من جمع حفنة من الأموال فأشار إليه عقله أنه آن أوان الزواج، لست ذلك المنظم الذي بورقة وقلم يدير حياته ..يحدث أحياناً في حياتي أمور لا أختارها .. لم أعرف من هي عندما أحببتها ولم ينتهِ الحب عندما عرفت بل تحول إلى عشق من الدرجة الأولى، ذلك العشق الذي نسمع عنه في الروايات ..ذلك الحب الذي يحكى في القصص ونراه في المسلسلات والأفلام ..هو العشق الذي يبكي القلوب قبل العيون، هو العشق الذي يجعلك دائماً متلهفًا، دائماً متميزًا، تحزن تجد سببًا لكي تفرح

وهي ليست تلك الفتاة التي تقدم بها العمر، وآن الأوان أن تجد لها رجلًا يقتنيها ويعتني بها ويرعاها وكأنها مسنة أو مريضة،

انحصرت خلافاتنا في من يشتاق أكثرومن يحب الثانى أكثر،كنت أقول لها دوماً دعى الأيام تحكم بيننا.

"وفاز المعتوه"

هناك قرية أعرفها جيدا ، في تلك القرية ،المعجزة هنا تكمن في أن يرتبط أحدهم بمن أحب، لأنه لم يحدث منذ عشرات السنين، والسبب هو دولة عربية شقيقة، والأغرب أن الكل يشارك في مقصلة الحب هذه، حين يصل الشاب إلى الخامسة عشر من عمره يعجب بإحداهن ويعيش معها قصة حب حتى يتم كل منهما العشرين عاماً، في هذه السن فتيات القرية يتزوجن أما شبابها فيسافرون إلى الخليج للعمل هناك وتكوين أنفسهم ويرجعون بعد خمس سنوات للزواج فهكذا يكون الامر، يأتى أحدهم من الخارج ليتزوج حبيبتك وتسافر أنت خمس سنين لترجع وتتزوج من حبيبة شخص آخر!!!!

هذا الطرف ليس بالضرورة أن يكون أحدهم قد أتى من السفر قد يكون زميل بالجامعة أو ابن عم أو جار ولكنه في النهاية لا يكون إلا مطرقة جاءت لتهدم قصة حب، هو قرار إزالة لصرح العشق المخالف للعاهات والتقاليد ، كانت هذه المطرقة زميل لها رأيته حين كنت معها يوماً في الجامعة لم ينزل ناظره من علينا كاد يأكلنا بعينيه

كانت يومها نور قد أضاعت "حقيبتها " بها حاسوبها الشخصي وجميع أوراقها !!

ذهبت إليها ووضعت يدي حول وجهها أحاول تهدئتها، حتى وجدنا الحقيبة في مكتب أمن الجامعة ثم خرجنا وكل ذلك يتبعنا زميلها هذا !!

سألتها عنه وقلت لها :

-هناك شاب كان يتبعنا كأنه يراقبنا ، كنت أراه في كل مكان ، حتى لما ذهبت إلي مكتب الأمن كان قد سبقنى إلي هناك !! قالت بسرعة ..دون تفكير..

-إنه عبدالله ..

- قلت متهكماً:

-ماذا تعني بأنه عبدالله ، أهو مقرر جديد عليكم مثلاً!!

-ضحكت ضحكة شريرة ، ضحكة المرأة حين تأخذها نشوة الفوز بغيرة رجل حقيقي عليها ، برغم أننى لم أتخل عن نبرتى المازحة إلا أن ذكاؤها قرأنى قراءة صحيحة !

لذلك كنت أقول قديماً إن ارتبطت يوماً فلن أرتبط بفتاة ذكية ، حتي لا أعاني هكذا ، ولكني لم أكن أدرك أن الذكاء هو جمال المرأة الحقيقي !!!!وأن معاناة الرجل مع المرأة الذكية تزيده حباً لها وراحته مع الحمقاء تجعله يكرهها يوماً بعد يوم !!!

لم يكن الموضوع مزاح كله حتى وإن كانت تعتبره نور كذلك ولكن زميلها "عبدالله " الذي عرفت بعد ذلك انه ابن قيادي إخواني مقرب إلى أبيها ونائب أيضاً في البرلمان قام بالبحث عن حسابها على الفيس بوك وقام بإرسال الرسائل لها، كنت أعرف وكعادتي أتجاهل أي شيء يزعجني من أول مرة نظرت فيها إلي عينيه كنت أراها هي ، هو لم يكن ينظر لي لعله أيضاً كان يراها"بوضوح "في عينى !!

تلك الأجندة التي كانت في يده لم تكن لمحاضرات بعنوان كيف تخطف "ضرس "أحدهم دون أن تؤلمه ، كما كنت أظن بل كانت خطته التي يريد بها خطفها مني ولكن لا يوجد هنا دون أن تؤلمه ،لأنه بالتأكيد يعرف أن الأعراض الجانبية هنا ليست مجرد ألم بل موت ، شيء بديهي لابد أن هذا الإسنانجي يعرفه جيداً ..

ثمة فرق بين أن تخطف "ضرس "أحدهم وأن تخطف روحه!!!

أخبرتها أنني سأكلمه كان ردها :

-لا تشغل بالك به كثيراً فما أظنه سوي معتوهًا!!

-معتوه!!

يبدو أنني ساعدته على التعلق بها أكثر ، فبعد أن أغلقت حسابها ..قرر الذهاب لأبيها أخبرها أنني سأكلمه أن لا يذهب ولكنها ترفض ذلك حتى لا أسبب لها الحرج!!!

شعرت بالعراء فجأة في منتصف طريق مزدحم بالناس ،بدايات العواصف متشابهة ..تشوش وتغابٍ وحماقة وتجاهلٍ للحقيقة وضعف وجبن وشيء من الخيانة، تلاحظ فلا تنتبه تنتبه فلا تفهم تفهم فلا تصدق تصدق فلا تعرف ما ينبغي عليك فعله ، إنها أطوار الخيبة يا صديقي،أنا لم أبدأ في الشك بعد أنا فقط بدأت في الموت، فكل شيء بعد ذلك موت، فهي إما حب وإما موت .. ويبدو أن زمن الحب قد استسلم لزمن الموت.

دون أي مقدمات كتساقط الأمطار في فصل الصيف لا يسبقه صقيع ولا يمهد له ريح ..يتساقط على غفلة منا دون أية إستعدادات ..سيأكل البرد بعضاً منك هذا إن لم يقضي عليك لأنك لم تستعد له جيداً ولم تمتلك وقاية مناسبة من شراسته ووحشيته!!

ستجد نفسك تبتسم من الألم حتي تبكي ، كبرياءك وشموخك لن يصمدا أكثر من حنين أول وشوق أول وذكري أولي ستزورك بعد ثوان فقط لتخبرك أنها لن تتكرر، أنا لا أدرك جيداً ما يجري أو ماذا أصنع أو بالأصح كيف أموت..

أمسكت بوجهها بين يدي وقلت لها بوجع..

- أتعرفين ..أحياناً أتخيل شيئاً مؤلمًا للغاية ..أنك تزوجتِ من غيري ..وآذاكِ هذا البائس ..أتخيل عجزي وقتها ..كيف يأتي يوم ليس من حقي فيه ان أمنع أحدهم من أن يؤذيكِ، هذا خيال يسحقني من داخلي..

لم أكن أهذي أو أقول كلامًا على سبيل المرح، لم أكن حتي في بالي أن أتحداها أو أتحدي النصيب ، كانت عقيدتي من قبل ، أن الإنسان أقوى من أي شيء طالما يحمل معه حقيبة إيمانه،

لتأتِ الدنيا بما تأتي وتعطيني ما تعطيني وتأخذ ما تأخذ فعندي يقين بأني أستطيع أن أستمتع بالمتاح، لم أدرك أن الأمر حين يتعلق بفراق من تحب يصبح كل ما تعتقده هشاً .

والدها تمسك بالعريس المعتوه كما سمته هي ..لأنه إسنانجي مثلها ولأنه ابن قيادى إخواني أيضاً سمعت ذات مرة أن الإخوان لا يزوجون بناتهم إلا للإخوان ولكنى رأيت ذلك بأم عيني ، لم أنكسر بعد ولم أظن أنها النهاية ولم أعتقد أنها الضربة القاصمة بعد إلي أن أخبرتنى نور أنها لا تعرف ماذا تفعل، عرفت أنى أمام عاشقة ضعيفة ، فالعاشق لا يفكرولا يتردد ،

كلنا نسير في طريق الحياة حتى وإن اختلفت ظروفنا ولكن دربنا واحد وكلنا نتلقى الضربات ..ضربات موجعة وأخرى مؤلمة قليلًا وهناك ضربات قاتلة، أما أصعب الضربات هي التي توشك على قتلنا وتفعل ما هو أصعب منه وهو أن تبقينا على قيد الحياة نعاني أثرها وندفع لها الجزية سواء كنا نستحقها أم لا..

هذه هي الضربة القاصمة..

ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به..

فقدت الإيمان بأشياء كثيرة من أولها نفسي، أنظر لنفسي وأستصغرها، أنظر إلى كل ما حولي أجده غير واضحٍ وغير مهم.

وسوست إلى نفسي أن أشارك أصدقائي مخدراتهم فأنا بأمس الحاجة إلى أن لا أفكر إلى أن لا أكون واعياً،

في ماذا صرت أفكر؟ المخدرات !!يا إلهي!

ولكن إن كان هناك وقت في حياتي لابد أن أضل فيه فهذا هو..

فهذه فرصة أمام كل الضلالات أن تتلاعب بي ، أذكر ذلك الحوار بين رجل وأمه في أحد الروايات ،

حين قالت له ،اسأل هذه السجادة يا ولدي كم أغرقتها دموعا ودعاءاً لك حتى لا تجوع ولا تظمأ ولا تعري ،

فقال لها

-وألا أضل يا أمي !!

قالت

-وألا تضل يا حبيبى !!

وأي ضلال يصيب القلب أسوأ من فراق ساكنيه ...

أخرجت هاتفي وكلمت أحد أصدقائي الصيادلة أخبرته أن هناك مريضًا يحتاج إلى بعض الحبوب المخدرة "ترامادول "فلتجهزها لي لو سمحت، ومن باب معرفته بي وثقته العمياء في سلوكي لم يتردد لحظة في تلبية طلبي.

أرسل لي المخدر وأمسكت بالشريط وابتسمت ابتسامة بؤس أخبر بها هذه الحبوب أننى في حاجة إليها ، ونظرت أنا لنفسي نفس نظرة تلك الحبوب إلي ،نظرة تعجب واستنكار، كانها كأنت تقول لي من أنت ، أنا لست لأمثالك ، لم

أتوقع يوماً أن تمسكنى يدك التي لطالما كانت تمسك الأمل وطالما كان ينظرلى بإزدراء،ولمن تناولني بإشفاق ، وكانت جملته المفضلة حين أُذكر أمامه

-سأرتقي فالقاع مزدحم جداً !!!

فلتتوقف عن الكلام أيها المخدر ، وظيفتك ليست النصح وظيفتك هي أن تساعد الآخرين في التخلص من آلامهم ، ولكن دعني اسألك أولاً ..

هل استغاث بك من قبل أحد يشبهنى في الوجع !!!

-وهل يستغيث بي إلا البائسون الذين أرداهم العشق!!

فسألته متلهفاً

-وهل كنت مجدياً معهم ..هل بالفعل نسوا أوجاعهم ،

ضحك وقال ،

-لو كان المخدر يصل إلى الذاكرة وينسي الناس أوجاعهم لأدمنه كل من يتنفس ، وتناوله الناس بعد كل شهيق وزفير،

الناس تتنفس وجعاً ياصديقى!!

قلت متهكماً

-بما أننا أصبحنا أصدقاء فأنتظرنى أعرفك على من كانت سبباً في وصولي إليك،

أخرجت هاتفي وكلمت "نور "

-أريد أن أقابلكِ ..

قالت معتذرة ،

-عمر، اليوم يأتون لتحديد ....وسكتت!!

أهذا منتهي كرمك، أهكذا تراعين مشاعري ..أن يمتنع لسانك أن يخبرنى أنك غداً ستكونين لغيري ، يا لكرمك البغيض !!!

أتجاهل هذه الحماقة العاطفية وأخبرها عن المخدر

صرخت:

-عمر إياكَ أن تفعل ..أين أنت الآن؟

وتابعت

- عمر لا تأخذ من ذلك القطران وأحضره معك ..حتي أحطمه!!!

تلك الوصية لم تكن خوفاً علي ولكنها تريد أن تترك مسرح الجريمة خلفها نظيفاً، تخاف تأنيب ضميرها لو تركت مدمناً خلفها،أليس من حقى أن أتناول شيئاً يساعدنى على الموت بدون ألم !!!

ذهبت بمظهر مزريّ وعين أنهكها البكاء، لم أكن أحتاج إلي المخدر لأبدو غير طبيعي ..كانت تعنيني نظرتها، ولأي مدي ستشفق على حالي !!

هذه المرة تختلف عن كل مرة تقابلنا فيها، اليوم هي مختلفة وأنا مختلف والظروف كلها مختلفة.لم يمنعني وجعي أن أشعر بالإشتياق إليها والاحتياج إلي ضمها لأشعرولو كذبا بأن أوجاعى ليست حقيقية وأنها مؤقتة ، أحاول أن أضمها فتبتعد عني، فأواري وجهي هاربًا من تلك الصدمة المخزية التي لم أتوقعها ..ها أنا ذا ملك نزع الملك منه، وأخذ منه عرشه وأصبح مشردًا، يتجول مع دراويش المدينة بثياب رثة وحالة مضنية، يتجول باكيًا على ضياعه وضياع ملكه.

أيها السقف أترى حالي؟ أتسمع أنين قلبي؟ ألا رأفت بي ونزلت علي فصرعتني صرعة واحدة قد أتخلص من هذه النار بداخلي، وأيتها الأرض من تحتي أما تشفقين علي وتبتلعينني حتى أنام في بطنك وأتوقف عن هذا التفكير المهلك..إياكَ أن تحاول التخيل ، أو التوقع فنحن لا نعرف مقدار الألم إلا عندمانقاسيه.

غصبًا عني تنزل دموعي أحاول أن أذهب بعيدًا،فأنا لم أبكي بحضور امرأة من قبل، كنت من الذين يعتقدون أن البكاء للنساء والأطفال فقط وأن الرجال أبداً لا يبكون ، وحين بكيت تحولت إلي طفل صغير أشفقت علي وسحبتني لأحضانها وأنهالت علي بوابل من القبل ثم قالت باكية..

عمر ..إياك أن تبكي !إياك!

حين تبكي أمام الآخرين، منهم من يكتفي بمواساتك ومنهم من يشاركك البكاء ومنهم من يحاول أن يقف حائلاً بينك وبين الشيء الذى يبكيك،

هي لم تقدم شيئاً سوى البكاء معي واحتضاني!!

ضمتني، شعرت أني لم أبكِ يوماً، ولم أتألم لحظة، كأني كنت في كابوس وصحوت منه، هدأت ذرات جسدي ورجعت إلى حالتها الطبيعية، وأنتظمت دقات قلبي ..احتضنتها بقوة ..كأن أحدهم يريد أن يأخذها مني وأنا أرفض .. أدركت الآن حقا معني الجحيم جحيم الفراق، كنت مسخاً ..كان بعضي المتمزق وبعضي الآخر يجول العالم يبحث عنكِ..

دعيني معكِ ..دعيني بعيدًا عن ذلك الإحساس بالتيه والضياع فأنا لا أحتمل ذلك يا نورهان ، فقط دعيني بجانبك،أعترف بضعفي وأعترف بعشقك سيدتي، أكتب لكِ على الأرض، على الحوائط، على الجدران ..لا تتركيني، هل أتوسلكِ، أي جزء في كرامتي وكبريائي تريدينني أن أطعنه.

لم يكن الأمر رجلًا يريد امرأة أن تستمر معه، الأمر هو أن يظل الرجل على قيد الحياة أو يموت، تمسكي بكِ ليس تمسكًا بنزوة أبدًا بل تمسك روح بحقها في الحياة، أترك الحديث في داخلي وأطلبها صراحة منكِ نور..

-نور لا تفعلي ذلك ..أنت تقتليني ..حرفيًّا..

-عمر ..عهدتك أقوى من ذلك ..أما كنت تقول أنك تثق بعقلك ووتؤمن أن الحياة لن تتوقف على أحد؟

تنزل أدمعي فأمسحها وأضعها على كفي وأقربه من وجهها وأقول:

-حينها كنت أتحكم في هذه

وأتابع ،

-وقتها كان عقلي يحكمني، لم أظن يوماً أنى سأفقد السيطرة على كل شيء ، . حتي بدني .أعطني يدكِ وتحسسي ..إنه ينتفض مع كل دقة من دقات قلبي .. حين أقول قلبي يؤلمني لا أقصد أنني حزين ، بالفعل هناك ألم شديد يعصر قلبي.

-عمر ..هناك ما لا تعرفه عن الأمر.

بل أنت من يجب ان أذكرها بشيء ..

أتذكرين حين كنا نختلف ،من يحب الثاني أكثر!!

تنظر إلى الأرض من خجلها وتبكي، إنها تكتفي بالبكاء ، ولن تقدم أكثر منه أمسح دموعها وأخبرها:

- لا عليكِ،الله المستعان..

أتركها متوجهاً إلي الحمام، أغسل وجهي لعلنى ألبس وجها غيره أقوي منه وأكثر صبراً وليس من الضرورة أن أرضى فالصبر واجب لكن الرضي مستحب ، هناك وقت لابد فيه أن ترحل وهو الوقت الذي لم يعد لديك أوراق تلعب بها ..وستعرف هذا الوقت جيدا حين لا يجدي طعنك لكرامتك نفعاً وقتها تعرف أنه وقت الرحيل!!

أخلع عني خاتمها ،أنظر إليه وأعطه قبلة وداعٍ، وأتركه هنا معلقًا في المرآة، وقبل أن أعطيه ظهري سمعته يبكي هو الآخر إشفاقاً علي حالي فألتفت إليه مبتسما اطمئنه ظنًّا مني أنني سأكون بخير..

أخرج من الحمام متأنقاً يبدو على وجهي ملامح قراري كانت هي الأخري تنتظرني بتلك الأنوثة التي زادها الحزن جمالاً وزادها الجمال حزنا ،تقف مستندة على الحائط المقابل لباب الحمام، بمجرد أن وقعت عينى عليها تسمرت مكاني لم أعد قادراً على المشي أكثر أنظر إليها بكامل حبى وحزنى بكامل عقلى وجنونى بكامل رغبتى وزهدى أنت الوحيدة القادرة على إسعادى تضيعين منى ولا أملك شيئاً أفعله، سبحان الذي أوقف دقات قلبي وأنفاسي

عليك وحرمنى منك ، لطالما أحببت رؤيتك ولكنى أكره كثيراً أن أراكِ اليوم لآخر مرة، أتسائل لماذا لا يكون الأمر كما نحب دائماً، لماذا تأت الأمور بالطريقة التى تحزننا لماذا نحرم ممن أحببنا، ويؤخذ منا من نختاره ، أتمنى أن أدخل إلى قلبك وأسمع دقاته ونبضه وأحاول أن أظبطه على نفس إيقاع قلبى بالتأكيد لن تذهبى عنى أبداً،

تقترب منى لتمسك بيدي وتقبلهما بتوسل قائلة:

- عمر ..كن بخير لأجلي.

عجيب جدًّا هذا الكائن الذي لم أجد له اسمًا حتى الآن، يقتلك بيده ويوصيك أن تكون بخير، يؤذيك بفراقه ويعرف أنه يؤذيك ويأمرك أن تكون بخير لأجله، تترك كل الناس وتبني عليه أحلامًا ويهدمها ويقول لك كن بخير لأجلي، يسكن كل ذرات جسدك، كل كرة دم، كل خلية، يسكن قلبك عقلك فكرك جسدك، والآن يريد أن يتركك ويا ليته يرحل صامتًا لا، بل من جبروته يوصيك أن تكون بخير لأجله، دعيني أموت في صمت ..لملمي سهامك ورماحك وارحلى في صمت، أعلنى أنتصارك وانشري خبر موتى للجميع.

قلت :

-الله المستعان..

قالت:

سأغادر الآن، ينبغي أن أتواجد الليلة في البيت

نظرت إليها ، ولم أتكلم لبرهة من الوقت ثم قلت :

-فلنظل اليوم معاً، ولنعتبره يوم الوداع

قالت بتوسلٍ

-عمر ..لقد شرحت لك الأمر ما كان ينبغي لى الخروج اليوم أصلاً لولا أنك أخبرتني عن "القطران "الذي ستتناوله

ثم أنتبهت فجأة

-عمر..أين"المخدر"،!!

- لم أقترب منه لا تقلقي.

-عمر،أريدكَ أن تكون بخير دائماً..والآن دعنا نغادر..

قلت لها متحدياً

- لن نغادر اليوم..

قالت متوسلة ،

-لا تضعني في هذا الموقف أرجوك!

-للدرجة متلهفة!!!

نظرت لها بحزن وخيبة ،تركتها وذهبت ناحية النافذة أعطيت لها ظهري وجلست صامتًا أنظر إلى الزجاج ولكننى لا أرى ما خلفه أنا فقط اري خيبتى ولا أرى غيرها ..جاءت من الخلف وضعت يديها على كتفي وسألتني:

أأنت بخير ..عمر؟

لم أجبها..

-عمر ..عمر..

أتحول بنظري إليها وأملس شعرها الجميل مرتين وأنظر في عينها مباشرة فأتخيل أنها المرة الأخيرة ..فتكاد تغلبنى دموعي، فأتركها وأنظر إلى النافذة مرة أخري ، يأتي إليها اتصال من أبيها يطلب منها الذهاب إلى البيت الآن ، رأيتها في النافذة تنظر إلى وقد أنزلت الهاتف من على أذنها ، فرفعت الهاتف واعتذرت من أبيها أنها لن تستطيع المجيئ اليوم !!

شعرت بانتصار عمره قصير، سينتهي بطلوع الشمس كنت أهنئ نفسي على انتصاري وأحاول أن أحصل على مكافأة فوزي في هذه الجولة عليهم جميعاً ..أدركت أن انتصاري أو خسارتي تكمن فيها، في قراراتها واختياراتها .. وأن أكثر ما يؤلمني أنها استحلت معاناتي.

انتصاري لم يستغرق سوي قبلة واحدة حتى رن هاتفها وزفت إليها أختها خبر قراءة فاتحتها وتحديد خطبتها ، الجمعة القادمة أي بعد أسبوع من الآن ،

أربكنى الخبر بل زلزلنى، ابتعدت عنها، نظرت إليها ولا أعرف ماذا أفعل ، هل أهنئها على خطبتها بكل روح رياضية وأتمني لها السعادة وبكل بلاهة أجلب لها هدية بتلك المناسبة ، أم أنزل تحت قدمها متوسلاً ، لعل هناك بعض من بقايا حبي ستشفع لي، أم أبكي وأصرخ وأجري في الشارع وأمسك كل من أقابله وأشتكي له ما يحدث لي، أم أتحول إلي أحد المطاريد فأخطفها وأتزوجها عنوة وأعيش معها كل يوم في بلد!!!

لو أعرف أي من هذه الأشياء قد يثنيها عن قراراها لفعلته فمن قرر أن يخذلك سيخذلك ومن قرر أن يجبن لن تجعل منه تصرفاتك ولا توسلاتك له شجاعاً،

احتضن خيبتى ..التي بقيت معي بينما تخل عني كل شيء حتى دموعي ..لم تستوعب الموقف أو لم يستوعبها كسرتي فما أصعب أن تتخل عنك دموعك بينما تتمسك بك خيباتك .

تحاول أن تقترب مني لتضمني ..أدفعها بعيداً عني فلم أعد بحاجة لمزيداً من الشفقة منها، كل مرة حاولت فيها الإقتراب مني كنت أضع يدي وأدفعها بعيداً مرددا كلمة واحدة

-الله المستعان ، الله المستعان، الله المستعان

كطفل خرج أبوه وأمه منذ عشرين سنة ولم يعودا بعد أتوسد أحد جوانب السرير منكمشاً في نفسي ،أبدوا ككومة من بقايا بني آدم، تتبعني تحاول ثانية أن تقترب لتطمئن أننى بخير، بالتأكيد أفزعها شكلي ولكنى أدفعها بعيداً. برغم أننا على سرير واحد ولكني أشعر أن بيننا سنوات ضوئية ..لم ينم كلانا ، راودنى شعور بالندم على البقاء هنا الليلة أسمع نحيبها وبكاءها بحرقة ، أردت لو قلت لها ، ابكي أكثر ..لعل الدمع يطهرك من ذنب قتلى ، ابكي لعلكِ يوماً تضحكين وأنت تركبين سيارة مع آخرو تمرون بجانب قبر يحتوي على رفاتي ، ابكي فأنا أستحق بكاءك . ..

تعودت أن البشر في دائرتي أستطيع أن أخرج أي أحد منها بقرار لا يستغرق سوى ثانيتين ،فلا أتمسك بمن تركني، ولو كان عزيزًا، ولكن حين تكون روحي من تريد مفارقتي، فذلك ليس جرحاً سطحياً يداويه الوقت ويشفيه الزمن إنه ثقب في الروح يلازمنا متي حيينا لا نبرأ منه.

لم نتكلم بكلمة حتى أشرقت الشمس ، لم يعد هنا موطنى ، السيدة العجوز قتلتها "نورخان "حتى لا تخبر أحداً بما جري ، لم يعد هناك متسع حتى للوداع .نركب معاً فطريق عودتنا واحد ، في هذا اللقاء الأخير أتذكر يومنا الأول وتقريباً في نفس المكان آخر كرسي في السيارة يوم مالت برأسها على الشباك

وضممته أنا وجعلتها تنام على كتفي تسترق السمع لدقات قلبى ، اليوم بيننا مسافات يصعب على تجاوزها، بيننا سنوات ضوئية، كما يقول الشاعر " سارت مشرقة وسرت مغرباً.. فشتان بين مشرق ومغرب "جاء دوري في النزول قبلها، أنزل وأعرف في داخلى أننى حين أغلق باب السيارة خلفى ..فأنا أنزل الستارة على قصة حبي ..

قبل أن أغلقه رفعت عينى لأنظر إليها للمرة الأخيرة ، لم أكن أدرك أنه ستخرج منى ابتسامة لم أقصدها لتقول لها ما عجزت عن البوح به فأخبرها كم أحبها ولن يحبها أحد مثل حبي يوماً، وبها حزن يتوسل إليها أن لا تتركني، وبها أعاتبها ، كان ينبغي أن تتمسك بنا أكثر، وبها صدمة خذلاني منها، وبها وصية مني أن تكون بخير، فأنا لم أحمل لها سوى الخير،أغلق الباب وأضع حقيبة معاشي فوق ظهري محملة بالخيبات والحسرات .. أحمل فوق ظهرى حزناً يأكل القلب منه، وبرغم صمتها، فضحها الشوق الذي كانت تخرج خطوطه وكلاليبه من عيونها ليمسك بقميصي من الخلف، ولكني أدفعه، ادفعها بعيدا عنى ، وأشتاق إليها ..

ويمشي السائق دون أن يدرك حجم المخالفة الجسيمة التى ارتكبها انزلنى منقسماً، ويحمل بعضي معه وتركنى مجرد بقايا إنسان ، أضعف ما يكون

وهش حد الإنهيار، كائن فاقد السيطرة على كل شيء، على إدارات المرور أن تنصب الكمائن لتفتش كل شخص عن بقايا آخر يعذب في رحيله .

يجن جنوني حين أتخيلها مع آخر تحكي معه ويخبرها بكل مفردات يومه وما حدث معه وهي تسمع له..و تحكي له تفاصيل حياتها الصغيرة، بالتأكيد تخبره كل ما أخبرتني به حين عشقتها، أعرفها ..ماهرة في احتلال القلوب، ها هي تضحك على مزحة قالها لها المعتوه، ها هي تنظر له باستحياء يذيب قلبه فيها، وها هو يريد أن يفرض نفوذه ويسيطر عليها، أسمعه بأذني وهو يرفض أن تخرج من البيت في هذا الوقت المتاخر لتشتري شيئاً لأخيها الأصغر وهي تخضع له، ويشعر هو برجولته هكذا .يا إلهي !لقد ذهب ملكي وعرشي لغيري، هو لم يضطر مثلي ليسافر معها متخفيين ليتقابلا في شقة في منطقة بعيدة ..كل ما يلزمه علبة جاتوه حقيرة ويذهب إلى بيتها عصرًا ليجلس معها إلى المغرب حتى يعود أبوها ويتناولوا جميعًا العشاء ويضحكون ويتسامرون .كنت أحياناً أشعر أنني فقدت عقلي وجن جنوني لخواطر تأتيني لا يفكر بها العقلاء ..أقول أحياناً هلّا ذهبت إليهم وقتلتهم جميعًا؟؟ لا لا، فلتذهب وتخبر أباها وخطيبها بما كان بينكم، لا لا فلتتصل بهم الآن وتخبرهم وتهددهم أنهم إن لم يرجعوها إليك ستقتلهم.

أستغرب نفسي وحالي ولكني أتسائل ،

-لماذا تبدو نور آمنة من ناحيتي هكذا؟ !أما تخاف مني أن أخبر أباها ومعتوهها قد يمنعني كبريائي فقط أن أفعل و ليس خوفي عليها فقد آذتني كثيراً، تبقى هي أكثر من أسعدني يوماً وأقسى من آذاني أيضاً.

كنت أريد أن أبكيك أكثر، أكتب فيك قصائد رثاء، وامشي في الشوارع ألقيها، كنت أريد أن أقابل الجميع وأهمس في آذانهم وأشكوك لهم وأخبرهم بما فعلتيه، وددت لو كنت أملك الجرأة لتسخير كل مكبرات الصوت وكل الافواه الناطقة لتعلن خبر خيبتى على الملأ ، كنت أريد أن لا أنزل عنى كتفي أسلحتى ان لا أعلن رايات الاستسلام، أردت حقا أن لا أنكسر، أن لا أهزم، أردت أن أسبح أكثر ضد موجات الحزن والقهر، أردت أن تطول فترة تجديفى في بحر الدنيا وأصارع أمواجها ولا أسلم لها أبداً واترك لها الدفة تذهب بى حيث شاءت وتفعل بى أي شيء تريد ولكن خاننى قوتي ولم تأت الاقدار كما حلمت ورغبت ..

أصمد وأقاوم وأقاتل كل لحظة وأخري حتى لا أنكسر حتى كانت ليلة من تلك الليالى التى تعادل قرونا من الأسي وقرونا من الألم

.تسمع أمي أنيني ليلًا ،فتقتحم غرفتي ،تصدم بي ، فهى لم تراني منهاراً كما أنا الآن من قبل ، لم أعد أتحكم في أي شيء، أرتعد كالمصاب بالحمى، أتصبب عرقًا وأنزف دموعًا ومنكمشاً في نفسي ..صرخت أمي :

-أي ولدي ماذا بك؟؟

أحاول أن أتوقف فجأة، أسكت تمامًا وأمسح دموعي وأتوقف عن الإرتعاد وأخبرها أنه لاشيء، لكني لم أتماسك سوي ثانيتين ..

حتى أخذتني الرغبة في أن أرتمي في أحضانها باكيًا ،

أماه أنجديني أماه !ولدك يضيع يا أماه !هل تذكريني وأنا صغير يا أماه ،؟؟ بالتأكيد رأيتني يوماً أبتسم، رأيتِني يوماً أضحك حتى وقعت على ظهري من الضحك ..تتذكرين يوماً أفسدت شيئاً وأخفيته عنكم ثم ضحكنا عندما اكتشفناه، أماه أريد أن أرجع إلى هذا الفتى،

تأخذني أمي في حضنها وتواسيني بكلمات تحتاج لعقل يسمعها وتحتاج لرجل غيرعاشق ليفهمها".

شعرت أمي بالعجز، واضطرت أن تطلب النجدة من أبي، الذي لم ينزل أجازة من أسبوعين منذ أن جاء مرة متخفياً في زي مدني ، كأول مرة يحدث أن يدق

أبى الباب عائداً من عمله دون أن يرتدي هذا الزي العسكري الذي يفتخر به دوماً .

سألته

- ما الأمر ...

لم يرد ولكنها المرة الأولى التى يشعر فيها رجل القوات المسلحة أن زيه أصبح خطراً على حياته مما جعله ينسل منه ويهرب بعيداً عنه هذا مؤشر خطير ،من الذي فعل بهم ذلك، من اصطنع تلك العداوة معهم ، كيف تحولت تلك النظرة المليئة بالمحبة إلى نظرة الكراهية هذه ، من هذا الاحمق الذي واجه الشعب الطيب مع أفضل أجناد الارض هناك شيء خطير يحدث حولى لست على دراية به ولست مهتما بمعرفته !!!

اتصلت عليه أمي هذه المرة تستغيث به تطلب منه النزول فوراً لأن الأمر لا يحتمل التأجيل، فوالد نورهان يستعد ليقضي على حلمي ويعد المقصلة الذي ستكون فيها نهايتي ..

كعادته أبى لا يتأخر عنى حينما أحتاجه انتظرت فقط ساعتين حتى سمعت طرق الباب ولكن هذه المرة مختلفة بعض الشي بالفعل إنه أبي ولكنه ليس واقفاً على قدميه إنه محمول على الأعناق ...

أربعة من الجنود يحملونه معهم قائد برتبة عالية بيده بعض الأوراق ، حاولت أن أفهم لم أفهم ، حاولت أن أستوعب فعجزت حاولت أن اصمد حاولت أن أكون رجلاً أتصرف كما يتصرف الرجال ولكنه لم يحدث حاولت أن لا أبكى فبكيت حاولت أن لا أصرخ ولكنى صرخت حاولت أن أرضي بالقدر ولكنى أعرف أن الصبر واجب ولكن الرضا بالقدر مستحب، شئت أم أبيت سأصبر راضياً أو غير راضياً بن يكون سوي القدر، في هذه اللحظة كل شيء حاولت فعله لم أفعله وكل شيئ حاولت أن لا افعله فعلته...

اليوم يا أبي أطلب منك المساعدة تاتينى محمولاً على الاعناق ، أهذه يد العون منك أم أنك بهذا تطبق ما كنت تقول "أطلبنى سآتيك حيا أو ميتاً " ولكني سآتيك " وفيت بوعدك يا أبي وفيت بوعدك

وقعت أمي مغشياً عليها ، وركعت على ركبتي، لم تتحمل حزنى قدماي ، فهوت بي إلى الأرض ، أدخل الجنود جسد أبي ووضعوه مستقيما أمامى بينى وبين رأسه مسافة قبلة وضعتها على جبينه ، أفزعتنى هذه الدماء التى مازلت تخرج من جسده ولكنها لم تستوقفنى كثيراً فمهما كانت الأسباب فالنتيجة حرماني من أبي،

وضعت يددى اليمنى على وجهه امسحه وبيدى اليسرى كنت أمسح دمعى كانى أستمد منه القوة حتى وهو جسد مطوي امامى ، استند عليه ليمسح دمعي فألمسه بيد وأمسح بالأخري ...

اقترب منى قائد الأربعة بالورق الذى في يده ، يتمتم بكلمات بينما يعطينى القلم لأوقع عليها ، فهمت من كلامه أن أبي خرج من المعسكر مسرعاً بزيه الميري مخالفاً بذلك التوجيهات، فقابله بعض الملثمين بالخارج وقاموبقتله، ولم يتم العثور عليهم ..

تلك اللحظات التى تلمس فيها ضياعك من نفسك وضياع روحك منك ، بدأت الأرض الثابتة التى أقف عليها دوماً تهتز من تحتى وأوشكت على الإنهيار تماماً،

أي دموع هذه التى سأبكيها الآن ، لدموعى المعتادة ظلم أن أبكيها اليوم، اليوم لا نزرف دمعا، أنا ازرف عمراً أنزف روحاً أنزف نفساً وجسداً ، اليوم أتحول إلى مجرد جزء وبقايا، أخاف من كل نبضة أن تكون الاخيرة كل شهيق لا أنتظر زفيراً بعده وهذا ليس زهدا إنما هو الموت على قيد الحياة.

رحلت الآن يا أبي ووبقيت، بقيت أكثر من كل شيء أصبح الكل غائبون وأنت فقط من حازكل الحضور ، حاضر لتذيب ذرات قلبى حزناً على رحيلك، تاتى لنعرف ماذا فقدنا،

اتخذت الصمت مركبًا لفترة لو علمت "نور " كم كنت احتاجها هذه الفترة لأتتنى لو حبواً لأمسكت بيدى وما أفلتتها أبداً، لم أستطع أن أطلب منها ولم أخبرها بما يحدث معي، يضعف حزنى عليها حزنى على أبى ويتضاعف أيضاً بهذه الأفراح التى يجهزلها أبيها ، يضاعف وجعي كل هؤلاء الذين يلتفون من حولها في محاولة منهم ليجعلونها لا تشتاق ولا تفتقد أحداً، يعقد أبوها وامها معسكراً مغلقاً لغسل مخها ووضع الغمامة على قلبها ، واستئصال أى ذرة حب لى، أردت أن استمد قوتى مستعيناً بأبى الذى فقدته ليتركنى وحيدا مكبلا ومحملا بهذه الأوجاع

أهمس لنفسي وأوصيها بالقوة والتماسك أقنعها أنني وأقوي حتي انهارت قواي وغلبني الحنين وأضعفنى الهوي وهزمني العشق وصرعنى الشوق. أتبتل في صلاتى قائلاً . "اللهم لا تحملنا ما لا طاقة لنا به " وهل شرع هذا الدعاء إلا ملاذا لأولئك الذين فارقهم أحبابهم !!!!

رأتني بلدي أئن من عذابي فأبت إلا أن تشاركني إياه .. ولكن يا وطني شتان بين جرحي وجرحك فأنت تنزف دمًا .. تنزف شبابًا.. ولكن هل جرحي هذا يزيدك ألمًا أم يخفف عنك؟.. فما يجدي الوخز بإبرة صغيرة في ميت؟! لم يعد عندي مكان يحزن، وأنت أيضاً دائماً ما أحاول أن أقول أشكوا أليك واهمس في أذنك وأقول :

-عندي أخبار سيئة "

فتسخر مني قائلاً

.. لم نعد تحزن للأخبار السيئة

فلتترك لخيبتى مكانا يا وطني ، دعنا نمدد بجوارك.. قد تساعدني فيضعف وجعي وجعك ، أو أساعدك أنا فأجفف تزيف الدم الذي يقطر منك.. وأحفر في أرضك من شرقها وغربها وشمالها وجنوبها وأدفن أشلاء إخواني من هنا ومن هناك وأواري سوءاتهم.. وأستر عورتك ..

كنا نظن بعد يناير سنتوقف عن تقديم مزيدًا من الضحايا والشهداء ، توهمنا الجنة في لحظة استرحنا فيها من جحيم الظلم والقهر ، العباسية ،محمد محمود ،ماسبيرو..الشيخ ريحان ،ومذبحة بورسعيد، رابعة العدوية، النهضة، سيناء، في كلٍ إختلف الزمان والمكان ولكن يبقى دائماً ،المقتول مصري والقاتل مصري والمصاب مصري والمكلوم مصري والمخجل دوماً أن يكون الشامت أيضاً مصري !!!!

هاجر كل الشباب هجرتين هجرة خارجية بتذكرة سفر وتأشيرة وطائرة وآخرون لم يحتاجوا إلي ذلك فسافر دون أن يسافر، سافر داخل وطنه اختار عزلته وانطواءه ،

قاموا بعمل دستور جديد، ، انتخبوا رئيسًا جديدًا باشباه طوابير خالية من الشباب لست وحدي ، ولكنه جيل كامل.. جيل من الذين لم يجدوا طريقة في التعبير عن عدم رضاهم بهذه الحالة التي وصلنا إليها سوى عدم المشاركة والسلبية !!!!

أما أنا فقد سافرت إلى داخلى تقوقعت في صومعتى لم أعد أهتم كثيراً أشعر بالخوف تجاه كل شيء معرفة الناس لم تعد كنوز بل أصبحت ألم، شخص جديد في حياتى يعنى خيبة جديدة ، أجلس هنا مختبئاً من الحياة تلك التى لا ترحم ولا ترأف بأحد، إنها تهزم الجميع وتقهرهم، كل من حاول الوقوف بوجهها أهلكته، تبحث عن الأشخاص الذين نحبهم لتحرمنا منهم وتبحث عن أحلامنا وأمنياتنا لتقضي عليها إنها تلك اللحظة التى تترك بينك وبين العالم بابا مغلقاً وتنسي مفتاحه في مكان مجهول بداخلك يعجز المصنفون عن معرفة ما إذا كنت مكتئباً ام مبتهجاً موجوداً أم غائباً ، بالتأكيد لست في حداد على فراق احد فالحداد لا يتعدى الأيام، لا يكون الحداد عمراً أبدا، ماذا يوجد في الحياة لأخرج من اجله أبحث عن أى شي خلاف ما أفعله يستحق أن يستحوذ على نفسي فلا أجد المسجد وأمي والكتب وقهوتي ماذا أريد اكثر، لا أريد خليلة ولا رفيقة ما حاجتى برفقة سترحل عنى بعد جولة من التعلق، ما حاجتهم برفقتى وأنا لا أملك جزءا واحداً في روحي به يقبل ممارسة الحياة مثل الجميع ، يقف بينى وبين الحياة خيبات لم تنتهي ..

أريد أن أرسل بعض الرسائل إلى الدنيا ... أريد ان أخبرها أنها على قدر قسوتها فهى ما زالت دنيا وبرغم بهجتها الزائفة فهى ما زالت دنيا ، على اى حال جئتها وهي دنيا وسأغادرها وهى أيضاً دنيا أعرف أن ابتساماتى لا تنفعك وبكائى لا يضرك وخيباتى لا تعنيكِ إن كنت يوماً قد اخطأت حقاً فهو اليوم الذى توسلت فيه سعادتي منك ، لو كنت مؤمناً حقاً لما هزتنى أفاعيلك فالكبرياء هو أن لا تلح وأن لا تصمم وأن لا تحتاج ما لا تملكه وأن تستغنى قبل أن يستغني عنك .....

في عزلتى الآن لم يعد هناك متسع من الخيبات يكفينى جداً أطياف الماضي التى تهاجمنى بين تارة وأخري أطياف الشوق والحنين لأبى الذي دفنته بيدى تحت التراب بعدما قتل دون سبب معلوم لكم تمنيت أن أقابل قاتله ليخبرنى بأي ذنب قتل أبي بأي ذنب حرمت منه، قد يكون السبب قبوله هذه الزيادة التى حصل عليا بمرتبه .

يكفينى من الخيبات أطيافها ذكرياتها التى تهاجمنى بشراسة أحياناً

" إنها نورخان إنها التى ملأت حياتى بالنور ثم استبدلته بالخيانة ، إنها المرأة التى علمتنى الحب وصنعت مني عاشقا حقيقيا ، هناك امرأة نقابلها فى العمر مرة واحدة ونظل باقى عمرنا نقارن كل الأشياء بها ،

إنها المرأة التى تتعب النساء من بعدها، التى يصير الرجل بعد رحيلها ركاماً حطاما، لا أمل فيه، جسد بلا روح، أنفاس لا حياة فيها، رحيلها هو ذاك الرحيل الذي يشيب القلب ويجعله عجوزاً حكيماً، المرأة التى تظل عالقة في الروح كالخطيئة التى لا تغتفر، تلك التى تبحث عن عينها في كل عين تقابلك، ولا تتعثر فيهن، فتكاد تجن .

. وجدت الثمن المناسب لتبيع لحبى،.آخر وعدها بحياة أفضل، بالتأكيد هو شخص قليل الخيبات ،أعرف أن خيباتي هي الورقة الخاسرة التي أحملها في جيبي دائماً

لا أبحث عن بديلات فأنا لم أعد أصلح للحب، كذب من قال أن الرجل يحتاج إلى الكثير من النساء الغبيات لينسي امرأة واحدة ذكية لا يحتاج الرجل إلا أن يكون هو نفسه ذكياً فأدرك بنفسي أن كل امرأة ألقاها بعدها ستشعرنى أننى كالإناء الفارغ لا يملؤنى إلا هي .

أدركت أن الحل هو الصبر حتى ولو كان مرًّا.. الصبر على كل حال.. الصبر على الفرح الذي غادر وهجر.. الصبر على الحزن الذي جاء وسكن.. الصبر على بعد رفيق الروح وقرة عينها حتى وإن غدر.. الصبر على الوحدة والألم والغربة والضجر

أدرك أن أول قواعد النسيان أن أعرف أني لن أنسي ولكنى كنت أريد أن أسألكِ دوماً شيئاً واحدًا قبل أن أقرر نسيانك ، هل في وسعي شيء أفعله حتى أستعيدكِ ثانية.ولا تكونى لغيرى !!

كان النبي محمد صلى الله عليه وسم دائماً ما يقول: "رحم الله أخي لوطاً فقد كان يأوي إلى ركن شديد"، الركن الذي لا يخيب عنده الآمال.. هو الركن الذي يكون عند حسن الظن به دائماً، هو الركن الذي لا يخذل،ولا يقسو، هو الركن الذي يغفر ويسامح، هو الذي لا يتخلى عنا أبدًا مهما عملنا ومهما كنا لا نستحق، ماذا اخترت أنا، اخترتكِ أنت، اخترت سنداً هشاً، وركناً يهلك كل من استند عليه !

كذبو وسموه حباً،وهو يبكينا أكثر مما يسعدنا يكسرنا ولا يجبرنا،.فلتبحثو له عن مسمى اخر، سموه ابتلاء، وليت الألم على قدر المتعة، بل أني للحظة ألم واحدة أن تنسف أعوامًا من الحب، فتصبح من شدة البرد وكأنك لم تعش لحظة دفء أبدًا..

منذ سنوات وأنا لا أعرف عنها شيئاً أجري في طريقا مسرعاً، أبعد عنها وهرب كما تهرب الفريسة من الصياد، أفر كما يفر الناس من الأمراض العضال فالأرض التى تتواجد بها هى أرض أصابها طاعون قاتل أوجب الهجرة منها ، أعوام كل سنة بأيامها وكل يوم بساعاته وكل ساعة بلحظاتها أعرف كل

لحظة مرت على جيداً أعرف لحظات كنت فيها حياً في المسجد وأعرف لحظات كنت فيها في رحلة داخل كتاب وأعرف لحظات كنت أكتب فيها بدموعى وأعرف لحظات كنت أتذوق فيها الموت شوقا وأتجرع فيها الألم تجرعاً تشابهت كل اللحظات في أنني كنت فيها وحدى، لا أنتظر أحداً ولا أحد ينتظرنى والأروع في هذه السنوات أننى توقفت عن الحلم وتوقفت عن التمنى لم يعد لدي ما أخسره رائع حقاً أن لا تخاف ضياع شيء لأنك لم تعد تملك شيئا ، لا تخاف فقدان أحدهم لأنك فقدت الجميع رائع حقاً أن تتوقف عن الصراع مع الحياة لا تريد أن تأخذ منها شيئاً ولم يعد لديك ما تعطيه لها، توقف التعامل معها، فالدنيا بالنسبة لي لعبة غيررابحة لم أعد أستثمر فيها .....

1- إ حتفظ دائماً ببعض كرامتك حتى لا تموت منحنياً

2- صدق دموع الرجال ندرتها، وزيف دموع النساء كثرتها

‘

توقفت عن القراءة أغلقت آخرورقة في روايته بدموعي التى تشعر بالحسرة والأسف مما ذاقه صديقى ولم أكن هنا، ولم أقف حائلاً بينه وبين هذه السهام ، لطالما حذرتك ياصديقى من طريق الحب كنت دائماً تريد أن تعيش قصة حب تمتلك كل ذرة فيك، بحثت عن الحب فى ابنة عمك وبحثت عنه فى بنت الجيران وبحثت عنه فى زميلتك فى المدرسة وبحثت عنه فى تلك التى قابلتها فى المكتبة وتلك التى جمعكما موقف ما وتلك التى ركبت بجوارك فى القطاروبحثت عنه فى من هى أكبر منك ومن هي أصغر منك بحثت عنه فى كل الأديان ، وكنت لا تخاف خيباته كنت تقول أريد أن أفتقد أحداً ،

كنت تبحث عن الحب فى قصة فيلم شاهدته أو قصيدة لشاعر كتب عن الحب ، أورواية قرأتها ، بحثت عن الحب حتى فى الأشياء التى لم تحدث .

لم تكن وسطياً أبدا دائماً ما كنت متطرفاً فى الحب ، حكيت لنا عن "نورهان "من قبل أن في رقبتها وحمة سوداء نتجت عن إختلال فى تكوين

الخلايا فى هذا المكان قلت لنا يوماً ..أنك تعشق هذا العيب ..أوكما يسميه الناس ..

لبئس الصاحب أنا ، كيف تركتك لضياعك ، كيف تركت العشق يفترسك وينال منك ولكنى الآن جئت ياصديقى أعرف أننى جئت متاخراً ولكن لعلنى أستطيع اليوم أن أأخذك من عزلتك التى أوقعك فيها صدقك ، وإخلاصك فى إحساسك ، سأحاول أن أنتشلك اليوم وأضع أنثي جديدة فى حياتك فأنت لم تعد تحتاج للحب ولن ترتكبه ثانية ، فقط تحتاج إلى حياة كحياتى ، تحتاج إلى زوجة ، لا تذهب إلى أمرأة لتتزوجها باحثاً عن الحب ابحث عن الحياة الطبيعة الهادئة ، اعتبره عقد شراكة على تكوين بيت سعيد يتعهد فيه كل طرف بأنه سيبذل ما فى وسعه ليسعد الآخر وهناك بند واحد في هذا العقد . " عاشروهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف!! "

قبل أن أغلق القصة وألقيها من يدى لمحت في آخر صفحة رسالة من عمر يقول فيها :

إلى كل من قرأ قصتى ولم تعجبه ، لا عليك ياصديقى فهي لم تعجبنى أيضاً حين عشتها ،

عرفت الآن أنك لا تكتب ليقرأ الناس إنما تكتب لنفسك تريد ان تقرأ ألمك أردت أن توثق عذابك ، تخشي أن يأتى يوم وتنساه ، وتصبح كأنك لم تتألم ، أم أردت وثيقة تدين بها "نور خان "، لعله فى يوم من الأيام يصدر قانوناً يقر عقوبات بحق كل من خذل حبيبه ويقضي بحرمانه وطرده وتجريده من الإنسانية ، هذا الذي ترك قلباً يعذب لا ذنب له سوي أنه أحب ، جففت دموعى واتصلت على عمر وبعد الإطمئنان عليه أخبرته أننى كتبت شيئاً وأريد أن اقرأه عليه ، وأخذ رأيه فيه ..ضحك عمروقال

-أنت الاخر تريد أن تدخل عالم الأدب

قلت له

-لا ياصديقى إنه فقط عالم العقل لا يحتاج الإنسان أن يكون أديباً ليكتب لغة العقل

-وهل يكتب العقل أدباً يا صديقي ..

-يكتب فقط ما يعجز عنه القلب ، أو ليصحح أخطاءه

-وماذا كتب عقلك ، أبهرنى بأدب لم أسمعه من قبل ،

قلت له

-ولكنى أريد أن أسألك شيئاً ، هل تريد أن تعرف عنوان ما كتبه عقلى ، قد لا يعجبك فلا أكمل حتى لا أؤذيك به ، فالعقل دائماً ما يؤذي خصوصا أولئك الذين اختاروا الهروب ..

سكت قليلاً ثم قال ..

-أخبرني العنوان ،

هي لن تعود ،

-من هذه التى لن تعود ،

قلت له :

-العنوان يا صديقى "هي لن تعود "

سوء تفاهم غير مضحك إطلاقا ..بل أقرب إلى الإبكاء منه إلى الضحك ،

سكت قليلاً توقعت تراجعه بعد معرفة العنوان ولكنه سمح لي بأن أقرأ عليه:

هي لن تعود

هي لن تعود

هي لن تقرأ ما تكتبه

لقد تحررت منك

لماذا مازلت وثيقها

تركت ذلك المكان الذي يجمعكما لماذا تتمسك به أنت

قم وابحث عن مكان آخر مثلما فعلت

أراكَ تريد أن تصرخ في العالم وتسأل

أين الإخلاص

أين الوفاء

أين الحب

أتدري شيئاً ؟؟!!

هذا العالم من حولك عالم أصم

عالم يراك في جحيم ويضحك

في النهاية يبقى كل ما حولك عالم لا تعتمد عليه كثيراً

*** * ***

أو أتدري شيًا آخر

هذا الرجل المارهناك لا يأبه بك وبحالك

وتلك السيدة التي تنظر إليها الآن لا يعنيها شعورك

وهذا الرجل بجوارك في المترو أو السيارة لا يتلهف ليعرف كيف حال قلبك

*** * ***

نعم الأمر بيدك أنت وحدك

رجل وامرأة تعاهدا عهدًا هي أخلفت

صُدمت نعم

جُرحت نعم

بكيت نعم

سهرت نعم

رأيت نهاية الحياة وارد

فقدت ثقتك فيمن حولك قد يحدث

*** * ***

أدري جلل الأمر

أدري كسرتك

أدري جراحك

أدري ألمك

أعرف معنى أن يكون الرجل مكلومًا ..

ولكن إلى متي!!

رجل لا ينام الليل يفكرفي من هجرته

من هجرَتْه لا تنام الليل أيضاً

لأنها في أحضان جديدة

تسمع كلامًا جديدًا

تضحك على أشياء جديدة

تمارس قصة حب جديدة

تؤسس لحياة جديدة

* * *

لا تندم أبدًا على حبك

لا تندم أبدًا على ذاك الشعور الجميل

ولكن اندم فعلًا أنك بكيت حتى لا تبكي ثانية

اندم فعلًا أنك انكسرت حتى لا تُكسر ثانية

اندم أنك يوماً ذرفت الدمع أمام قلب لم يقدِّره

اندم أنك يوماً تمسكت بمن تركك

* * *

فك هذا الوثاق

فك قيدك بنفسك لتكون حُرًّا

ها هي الحياة تنتظرك

من رحل لم يأخذ الشمس معه

ولم يحجب القمر

ولم يجعل العمر كله ليلًا ولم يجعله نهارًا

لم يأخذ فنجان قهوتك

لم يأخذ كتبك ورواياتك

* * *

أفق من سكرتك

أفق من هيمانك

قم واغسل وجهك

واغسل عينك جيدًا حتى تنسى الصور التي تظهر أمامك تكرارًا ومرارًا

وأذنك حتى تمسح همس الكلمات التي كانت جميلة وصارت مؤلمة

وامحِ هذا العطر من ذاكرتك

وتذوق عطرًا آخر

والمس عطرًا آخر

واعطِ فرصة لعطر آخر يستحوذ عليك

* * *

أرى هذا العطر يذكرك بها حطمه

وهذا القلم منها لا حاجة لك به

وهذه الساعة منها ، تبًّا لساعات تؤلم، تبا للوقت حطمها

لو ذكَّرَك بها شخص فارقه

لو ذكَّرَك بها مكان اهجره

تخلَّ عن كل ما يضعفك

تخلَّ عن كل ما يؤلمك

إن استسلمت للذكريات أخذتك إلى عنان السماء

وألقت بك وأنت مطمئن لها في الهاوية

يا أنت ، أفق، هي لن تعود ..انتهى؟

أستعيش باكيًا على راحلين لا يستحقون..

حكِّم أي عاقل وأجِبه عن هذه التساؤلات

هل هي حزينة مثلك الآن لأنها بعيدة عنك وتشعر بالوحدة ؟

لا فقد ارتبطت بآخر، ولكن في اعتقادي أنها،!!

سيقاطع كلامك ويخبرك أن تصمت وتخرص تماماً

أي عته وأي ظلم للنفس هذا

ولدي ..يا مسكين

نحن في القرن الواحد والعشرين إنها لم ترتبط به مجبرة

بل ترى فيه فارس أحلام

انزل يا صديقي إلى أرض الواقع

نحِ هذا الحمل عن كتفيك ألقِ به بعيدًا

أما يحق لك بعد كل هذا الوجع والتعب والتيه والوحدة أن تهدأ؟؟ أن تطمئن؟؟ أن تمضي قدمًا في حياتك!!

لا تكره أحداً رحل عنك حتى وإن أحببته كثيراً فهو في حالتين إما يحبك وهذا يجعلك تشفق عليه وإما لا يحبك وهذا يجعلك تحمد الله ان أخرجه من حياتك

توقفت ، بعد ما سمعت عمر يتنهد بحرقة وقلت :

-عمر لقد أنتهيت ، وأريد أن اعرف رأيك ..

لم يرد ، لولا أنني أستمع إلى بعض الأنفاس التى تعلو وتهبط وجعا لقلت أنه أغلق فى وجهي الهاتف ولم يستطع مواجهة العقل كررت مناداتى عليه ،

-عمر..

-قال بصوت مكسور

-نعم .. اسمعك ..

-اخبرنى عن رأيك ..

"أخذ نفساً عميقاً ثم بدأ فى الحديث

-إنها رسائل عقلية منطقية ولكنها فى الغالب لا تصل إلى القلب إنها الرسائل التى لم ولن تصل،

قلت له :

- نحن من نستطيع أن نجعلها تصل ، نحن الذين نبنى مساكننا فى مدن الأحزان ونطرب الوجع وندمنه

قال :

- لا بل نحن من يختارنا نصيبنا ..هل شعرت من قبل بأن قلبك يحرم عليك أن تفرح وأن نفسك تأبى السعادة ..

قلت له فجأة ..

-عمر، لقد قرأت روايتك يا صديقي ،

-لم أتفاجأ ، أعرف أنك أخذتها ، فأنت الوحيد الذي دخل الصومعة .لم يدخلها من قبل غيرك..

-أعرف أن اعتذاري عن ذلك واجب ولكنى هناك سؤال ملح أريد أن أطرحه عليك ،

-أعرف سؤالك ياصديقى ،

أجبنى عنه إذاً ..

-تريد أن تعرف لماذا كتبتها.. أليس كذلك ؟

- بلى .. فأنت لم تكتب القصة ليقرأها أحد أو ليعجب بها أحد ، !! فلماذا كتبتها إذاً؟

سكت قليلاً ثم قال

- فقط أردت أن أنتقم بها ..من "نورخان" ..أردت فقط أن أكتبها وأرسلها في عيد زواجها من هذا المعتوه مكتوب عليها ..

" هذه قصة عشقك وقتلي ..وقصة خذلانك ووجعي ، اقرأيها كل نهار حتى تتعذبي بها كل ليلة وأقرأيها كل ليلة حتى تتعذبى بها كل نهار ، مع تمنياتى للكِ بألم الضمير هذا إن كان هناك ضمير"

- ولماذا لم تفعل حتى الآن ...

ابتسم ابتسامة مجروحة ولم يتكلم ...

فقلت له

- ما زلت خائفاً من مواجهتها!!

وتابعت

-ولكن يا صديقى ليس بهذا تشفى منها، لن تستطيع التخلص من خيبات كهذه إلا بذاكرة جديدة ، وهذا ما سنفعله الليلة اعتبره جزءاً من معركتك ضد الماضي

سكت قليلا ثم قال

-لن نستطيع أن نهزم الماضي حتى لو صنعنا مستقبل أفضل!!

قلت له

-بلى نستطيع ، طالما صنعنا مستقبل خرجنا به من بوتقة الماضي فقد هزمناه ،

تابعت كلامى قائلاً

-عمر لن أسمح لك بالهروب بعد الآن ، لماذا تجمل نفسك لك موتك، ثم بدا صوتي حاسماً حين قلت:

"سأمر عليك اليوم في التاسعة ، كن مستعداً يا صديقي،

"النهاية البداية "

أتمدد فى صومعتى وأنظر إلى السقف متحدثاً مع نفسي عن هذه الخيبة الجديدة التى ستدخل إلى حياتى "الزواج" هذا الشيء الذى لم أفكر به منذ رحيل "نورخان" ، هنا بعد منتصف العشرينات من العمر، لو تتأخر قليلا في قرار الزواج تأتيك الأسئلة والنصائح والدعوات التي تمل منها ، لو كان الإنسان مخلوقاً لا يكذب لصرخ في وجه كل من قابله كل هؤلاء الذين يستنكرون وحدته وكأنه شيئ اختياري هم لا يعرفون أن ليست الوحدة اعتزال الدنيا فقد تكون اعتزال الحمقى والخائنين ...

غالباً الأنثي لا تنتظر أن تكون بائسة، وهى تري كلام الناس وعيونهم كرابيج تؤذي روحها ، لذلك تري أن أغلبهن يقبلن بالحد الأدنى عند الزواج وبعضهن ..فقط بعضهن يفضلن الوحدة عن الزواج السيئ، أما الأمر يختلف عند الرجال ، أقصد الرجال الرجال ، يخرجون ألسنتهم دائماً في وجه كلام الناس ونظراتهم ، ولا يلقون لهاً.

إن كنت تظن أنك مختلف فستكتشف في النهاية أنك إنسان عادي ستتزوج من امرأة عادية وتعيش حياة عادية وتعمل بوظيفة عادية ، وتموت ميتة عادية ..وستغادر الحياة كما جئتها ، لن تنقص من بحارها بحراً ولن تزيد من أنهارها نهراً ، لن تبنى هرما رابعاً ولن تكتشف علاجاً لمرض نادر، ولن تخترع

دواءاً يسعد الناس ويريجهم ، بوجودك زاد عدد البؤساء واحداً ، لم تكتشف إجابات لم يكتشفها غيرك ، فلم تعرف ، لماذا، ولم تعرف كيف ولم تعرف متى ولم تعرف أين ، ولم تعرف حتى من؟؟؟ !!!!!!

لن تنقذ إحداهن من الغرق فتبدأ قصة عشق أسطورية ، ولن تغادر إحداهن زفافها حين تكتشف أنها غارقة في حبك ، ولن تبكي فرحاً حين ترتبط أنت من إحداهن ، ستهتم فقط بعدد قطع الجاتوه وزجاجات المياه الغازية وتكلفة قاعة الفرح ، وتقترض من أحد أصدقائك مبلغاً من المال لأن راتبك قد تأخر وغداً عيد " الحب " ولابد أن تجلب هدية لشخص ما كان الحب بينكم يوماً فقط التعود ووهم الإستقرار.

يهاتفنى صديقى عمر ويخبرنى أنه ينتظرنى أمام البيت ومعه سيارته ويقول مازحاً أن أترك الصومعة وحدها لن يحدث لها شيء!!

أنظر فى عين أمى وأنا خارج متأنق أرى فيهما فرح افتقدته كثيراً واحتجته أنا أكثر منها ولفت انتباهي أنها أيضاً كانت متهيأة للخروج كأنها ذاهبة إلى مناسبة مهمة ولكنى لم اسأل !

إنها تشبه سيارة أبى كثيراً، حتى أنها مليئة مثلها بتسجيلات كوكب الشرق،في الطريق شارد ذهني ، تلومني نفسي على ما أفعله ، أعرف أن ما أفعله من الدين ومن عادات المجتمع ، ولكن كيانى لا يستجيب إلى اعتباره خطوة

مقبولة وعادية ، يفعلها كل من يريد الزواج بطريقة تقليدية ، تذهب إلى البيت وتلقي نظرة على العروس وهي الآخري ستفعل ، وقد تقبلها أنت وترفضك هي وقد تقبلك وترفضها ، وقد تتقبلا بعضكما ويرفضكما الآخرون .

كعادته قاطع صديقى تفكير كأنه يسمعنى في ماذا أفكر قائلاً :

أستغرب عزوفك عن أمر ارتضاه الناس وارتضاه لهم دينهم كأسلوب في الزواج ..

قلت :

أنا لا أقبح ولا أجمل ولا أحرم ولا أحلل أنا فقط أخبر عن إحساسي ، عن ما أشعر به من غرابة كلما مشيت خطوة في ذلك، أبدي عدم ارتياحي للأمر ليس تسخطا ولا احتقاراً ..وأعتقد أنني حرفي ما أشعر به تجاه الأشياء !!!

قاطعني صديقي قائلاً ..

-أنت حتى لم تسأل عنها ألا تريد أن تعرف عن ماضيها .وأن تعرف أهي تشبهك أم لا ..

نظرت إليه باستغراب وسألته

-ولماذا حين نرتبط نهتم بالسؤال عن الماضي بينما السؤال عن المستقبل أولى وأهم ،ولماذا نختار من يشبهنا لماذا نرفض أن نعيش أكثر من حياة ..

- نبحث دائماً عن الأشياء المشتركة بيننا وبين من سنرتبط به !!!

-أيهما أفضل أن يكون في حياتك هوايتان أم واحدة ، اهتمام أم عدة اهتمامات ، فكرواحد أم أكثر من فكر، حياة أم أكثرمن حياة قاطعنى فجأة وقال :

-ها نحن الآن ، قد وصلنا

اتسعت عيناي من الذهول أعرف هذا المكان جيدا، تذكرته ، هنا تسكن "نورهان " على بعد أمتار من هنا يوجد منزل الدكتور كمال فأنا أعرفه جيداً..

تباً لذلك ، لم أتوقع هذا الفخ أبداً ، لم أعرف أنها قد وضعت في طريقى لغما سأمر من فوقه بعد سنوات ..إنه أحد ألغام الذاكرة ، الذى لو لم ننتبه إليه ، لطاح بصرح من النسيان ، تعبنا سنوات في بنايته ، لهشم حائط التجاهل الذي نحصن به قلوبنا لأعوام،

- لم أهدأ إلا بعد أن وضع صديقى يده على كتفى ... قائلاً

- إنها سنوات طويلة يا عمر بالتأكيد، هى في بيت زوجها الآن تقدم في طريقكَ ولا تلتفت كأنه لا شيء ...

من أين لى بعقل يستمع إليه فلا أحد يدرى ما يدور بداخلى في هذه اللحظة توقفت قبل عدة أمتار من هذا اللغم، والذى قادتنى قدماي إليه.. لماذا تقودنا أقدامنا إلى هلاكنا غالباً، مشيت مترقباً هذه الأمتار إلى هناك ..حتى وصلت إلى البيت الذى طالما أحبته نور وكانت دائماً تمدح هذه الشجرة التى أمامه ، وجمالها ، توقفت لحظة عند هذه الشجرة ، أعرفها على نفسي وأخبرها كم حكت لى إحداهن عن جمالها يوماً، ولم أكن وحدي عندها ..بل كان هناك طفل صغير، عمره أربع سنوات ، طفل وسيم جداً يلعب بجوار هذه الشجرة اقتربت منه ، أحاول أن أشاركه لعبه فهكذا يعتبرك الأطفال شخصا ودودا ..حين تشاركهم ألعابهم، توقعت أن يكون هذا ابن أحد أقارب نور ، يقابلها وتعرفه.، تأخذه بين يديها وتقبله ، فحملته وقبلته ، لعلها تكون رسالة منى أو مجرد تواصل محروم من الوصل!!

وبينما أنا منهمك في أفكاري مع الطفل سمعت صوت إحداهن تنزل من سلم البيت خلفي ، تنادى:

- يا عمر، يا عمر!

شعرت أنى أعرف هذا الصوت جيداً ولكني لم استوعبه..

اقتربت أكثر قائلة،

-ماذا تفعل عندك يا عمر!!

" بدأ القلق يتمكن مني، من أين لها أن تعرفني أصلاً أم تقصد الطفل .لم ألتفت بعد ، لم يرغب جسدى في الإلتفات ،لعله عرفها قبل عقلى وروحي وأحس بها قبل أن تأتي بسنوات و أكثر إنها هي "نورهان .

يا الله ماذا تفعل الأيام بي ...

جري الصغير إليها حاملاً ألعابه سوي واحدة كنت قد أمسكتها بيدي ، دمية قد جلبتها ل"نورهان" كنت أشبه عليها والأن تأكدت أن الدمية لى .

فقالت متوجهة بكلامها لي ،

-معذرة، هل لي بالدمية التى في يدك

قلت بنبرة هادئة

-ولكن هذه اللعبة ملكي أنا ،

قالت وكأن الزواج أخذ منها ذكاء الأنثى وعمقها

-إن عمر ابني كان يلعب بها هنا ،

"يا لهذا الإخلاص الغبي، تقتل أحدهم و تسمى مولودا باسمه، وتعيش مخدوعاً بمراتب الولاء والوفاء له.. لن أفرح لهذا الانتصار الصغير، لن أقع في هذا الفخ ثانية، لن أتوسل سعادتى ولن أتجاهل خيبتى، سأظل ملكاً حزيناً أفضل لي من أن أكون خادماً لفرحة هشة تخدرنا همسة، قبل العاصفة

التى خلفها، فرحة تأتي لترحل وترحل لتغيب جداً، لم يشعر قلبى بأى امتنان لها ، بأن سمت هذا الملاك الصغير على اسمي ،

قلت لها

- نعم كان يلعب بها ولكنها ملكي أنا .

قالت بنبرة أكثر حدة ، وقالت حضرتك هذه لعبة عمر !!!

- أعرف ذلك جيداً لذلك فأنا أقول هي لعبتى ،

-إنها لولدى عمر،

-لا إنها لعمر ولكن ليس ولدك ،

"بالتأكيد عرفتنى ولكنها ليست تلك العاشقة التي قد يغلبها العشق ، ويجعلها ترتكب الجنون ، وترتمي في أحضان حبيبها السابق الذى لم تراه منذ سنوات

أخذت نفسا عميقاً بتنهيدة سمعتها وأحسست بها ، وقالت .

- أنا أعرفك، ولكن لماذا تعطينى ظهرك !!

حقاً ، تُنسي كأنك لم تكن ، تُنسي كأنك لم تحب ، تنسي كأنك لم تبكي ، تُنسي كأنك لم تتوجع ..تنسي كأنك ..مخبول ..أو مجنون ، أو موهوم !!

"-عرفها جسدى وأحس بها قبل حتى أن تقترب منى ، .فلم يستدر..تأكدت من صوتها أنها هي، تعرفت على هديتي التي أهديتها إياها منذ سنوات والتي احتفظت بها كذكري جميلة ، يبدو أن الأشياء تعذب من أحب فقط ، فأنا وحدى من عذبه مجرد قلم ، تأذيت أذيً شديا من رائحة عطر وخضت حربا ضروسا ضد بقايا رحيلها ،!!

وهي لم تتخلص من شيء لأنه لم يكن لى بقايا ، لم يتعبها النظر إلى هدية مني بل احتفظت بها لتصبح مجرد لعبة ، في أيدي الصغير ..قد تتسخ بالتراب ، قد تتسخ بأشياء أقذر من التراب ، أي إهانة هذه لحب لم يكن موجوداً إلا في قلبى أنا !!!

أريد أن أستدر ولكنى ما زلت خائفا من هاتين العينين .، لا أعرف هل مازالت سطوتهم على قلبى قائمة، أم تحرر قلبى وأصبح قادراً على المواجهة

كنت أحسبه مجرد لغماً لم أتوقع أن يكون هناك خطة انسحاب و هجوم تعد لها منذ سنوات ، إنها نور سيدة المعارك والتي تخاف النسيان وتحاربه .. تخشي أن أستخرج مخالب أوجاعها من ذاكرتي ،

إنها نور بعطرها وحضورها .بعينها ..عينها !!، أستطيع أن أقاوم كل شيء .. سوي عين رأيت فيها نفسي يوماً وبنيتُ فيها حلماً وسكناً، فسبحان الذي جعل حياتي تمضي بدون عينيها ،

تمنيتُ لو ارتميتُ في أحضانها وبكيت فهي الشخص الوحيد الذي لو فعلت .. لن يسألنى ما الذي يبكيك ، أردت لو قلتُ لها ، هل لي من وقتكِ عمراً أشرح خيبتي فيكِ !!!عمراً واحدا ويالياته يكفي ،لايغرنك هذا المظهر الأنيق .إنها مجرد غطاءات أواري بها خيبات عمري وجراحاته وأخبى تحتها انكساراته وصدماته ..

وحين رأت وجهي توقعت أن يغشي عليها من الحب ولكن الحب هو من أغشي عليه ، ووقف حائراً بيننا أنا الذي بكي غياب هذه المرأة أعواما بينما هي تمارس الحياة وتشاركها مع آخروهذا الطفل هو نتيجة تؤكد ذلك ، تنام كل ليلة في أحضانه وأنام أنا في أحضان الذكريات ، بالتأكيد وجدت فيه الدفء الذى تبحث عنه كل امرأة فهذا الدفء إن لم تجده المرأة أصبح الرجل حينها عبئاً ثقيلاً وهماً كبيراً تقضي ليلها ونهارها تدعو أن يخلصها الله منه فقد يرتمى الرجل في أحضان امرأة لا يحبها ولكن المرأة لا تمارس الحب إلا من أجل الحب ، استدفئت أحضانه وظللت أنا كل ليلة تلسعنى لفحات الصقيع وألسنة اللهب من الشوق تارة ومن الحنين تارات أخري ..

بدت هادئة للغاية ولكنها لم تكن تعلم أنى جئت اليوم مدججاً بأسلحة سأدافع بها عن هويتى وسأتمسكُ بمظهري الأنيق ولن أنكسر أبداً أمام هذا الهدوء ،

بدأت هي المنازلة قائلة :

-كيف حالك ياعمر!!!!

"كيف حالي ، عجيب أمركم أيها السادة ، سادة الرحيل ..سادة الخذلان ، حقاً تقتلون القتيل وتمشون في جنازته ، تسألين الآن عن حالى يا نور ، بماذا ابدأ وهل أعمارنا كافية ليشرح رجل لامراة أحبها كيف حاله بعد رحيلها !! هل هناك كلمات قد تشرح خيبته،دعينى أنا أسألك كيف حالي ..بالتأكيد أنتى تعرفين حالى جيدا ..في كل لحظة كنتى تستمتعين بالرحيل ، تنقصين رصيدى لديك ، تمحين أي أثرلى من قلبك بينما كان الحب في قلبى يتحول إلى ألم وشوق وحنين وجوي ..كنتِ غائبة وكل شبيهاتك حولى حاضرون وكنتى أنت الوحيدة الحاضرة وكلهم غائبون ،

قاطعت سكوتي قائلة

-عمر سألتك كيف حالك !!!

"بالتأكيد تنتظر مني أن أخبرها أننى بخير وأن الأمور كلها على ما يرام ، اطمئنى دول العالم عددها لم ينقص ، ولم تنقص حتى حبات المطر ، تساقطت كلها وأنا أيضاً تذوقت لحظات حزنكِ كاملة لم يفتنى لحظة واحدة ، كل أوقات الألم التي كتبت علي عشتها ، زفرات الهم ولسعات الوجع كوتنى جميعها .

اطمئنى "سيدتى "عبدك لم يتخلص من الرق ببساطة ، كان الميثاق الذي بينك وبينه أغلظ من أن يستطيع تحرير نفسه بسهولة ، برغم أعوام الغياب ، كل جنودك قاموا بواجبهم على أوجع وجه ، لم يترك لى الإخلاص فرصة ليدق قلبى لأخري ، ولم يترك لى الحنين فرصة لأجد لى موطنا ، يقذفون بى كل لحظة وأخري إلى غيابات الوجح والشوق ،وأي موطن قد يقبل لجوءنا بلا أوراق ولا هوية ، فليس للمجاريح هوية تدل على وضعهم، أولئك العشاق من حقهم أن يحملو هوية ، تلك الجروح الخفية يجب أن تفضح وعلى العالم أن يعلن الحرب عليها إنها قاتل صامت كل يوم تقضي على قلب أحدهم ..ولا يستطيع أن يستخدم حقه في التأمين ليشفي من هذه الأوجاع التي عبثت بقلبه !!

قالت مستجدية كلامي ..

-عمر أسألك ..كيف حالك ..لماذا أنت ساكت؟؟

"أنا لست بساكتٍ سيدتى ، أنت لا تسمعينني،يبدوا أن أول أسلحتى أتي بجدواه ، إنه الصمت ، صمت الرجال الذى لطالما قتل النساء ، لن يعذب المرأة الكلام كما يعذبها الصمت ، فدائماً بعد الصمت تصبح المرأة مدانه وتفقد الحق في الدفاع عن نفسها ..تفقد قواها وقدرتها على مواجهة الرجل الصامت ، لعل ذلك سببه العجز الذى تشعر به أمام الصمت ولأنه الشيئ الذى يستطيع الرجل فعله أزمان بينما هي لا تستطيع أن تصمت لثواني ، لطالما كان لسان المرأة آفتها وآفة الرجل رغبته !!!!

أقرأ في عينيها استغاثات تتوسل بها كلامي ، تريد أن تسمعنى حتى لو وبختها ووجهت لها كلمات اللوم والعتاب المعتادة ، كما تعود الناس أن يهدموا صرحاً من أوجاعهم وتحملهم وصبرهم بأن يعاتبوا من خذلهم، لا تعاتبوهم إنهم لا يستحقون هذه المنحة !!

تريد صراخي فيها ولكن صمتى هذا لا تريده ، لأنها تعرف بينها وبين نفسها أنه ليس وليد اللحظة بل منذ أعوام وأنا لم أتكلم ولم أشكو ولم أحاول أن أنتقم

حاولت أن تكسرنى بعينها أتعبها صمتي، ولا تدري أن من استطاع أن يهزمك بصمته سيهزمك إذا تكلم ، قلت لها بنبرة زادت من حيرتها وارتباكها

-الله المستعان

تلك الكلمة التي يرددها الفرح والحزين يرددها كل من أراد أن يعتمد في كل شيء على "الله " ويرمي كل شيء عليه،، يرمي انهاره و ضجره ، يرمي اهتمامه ولا مبالاته يرمي رضاه وسخطه يرمى بقدرته وعجزه يرمي انتصاراته وانكساراته ..فمن غير الذي خلقنا يدري ما نشعر به ..فالذي خلق هذا القلب الذي يتألم يعلم ما يؤلمه ولا يرضيه ذلك ، والذي خلق هذه العين التي تبكي يعلم ما أبكاها ..في أول الحزن من هوله قد تغيب عنك حكمته ولكن بعد أن تقف على أرض ثابته وتزول الغمامة من أمام عينيك ستري بصيرتك أننا لا نتعاقب إلا بما علقنا به أنفسنا ، وما يشقينا إلا أولئك الذين أحببناهم سوي الله ،

بالتأكيد تذكرت أنها من علمتنى هذه الكلمة وشعرت بفخر أننى لازلت على الأقل تحت سطوة تعبيراتها وكلماتها ..

فقالت ..مبتسمة

الله المستعان -

لم أستغرب استعانتها بالله كما اللص إذا دخل المنزل لسرقته يدعوا أن ييسر الله له أمره، حاولت أن تكون على مستوى منازلتى، أعرفها أدمنت تعبئتي بالخسارات

فألقت سهمها الأول قائلةً ،

-ماذا كنت تفعل هنا ، يا عمر بعد هذه السنوات في هذا الحي ، ليس من المعقول أنك بعد سنوات قد جئت تراقب بيتاً قد آآتي إليه صدفة..

وأتبعت كلامها بضحكة تسخر من رجل قد يفعل ذلك !!:

قلت لها بثبات :

-لا أنا لا أراقب بيوتاً ولا يوجد هنا ما يستحق المراقبة، نظرت إلى الأرض منكسرة ولم تتكلم فتابعت أنا قائلاً:

- ولن أكون يوماً درويشاً يوزع أوجاعه في الطرقات ،إننى كنت أزور خطيبتى ، إنها تسكن في زاوية أخري من تفس الحي إنها امرأة جميلة جدا وتحبنى كما لم يحبنى أحد من قبل !!

" لا أعرف هل أجدت الكذب عليها أم فضحتنى ملامحي وقرأتنى عيناها التى طالما فعلت، قبل أن يسلب من عينها حق تصديقي أو تكذيبي "

فقالت :

تحاول أن تدرك سلطتها !!،

–ولكن ماذا عنك أنت هل تحبها كما لم تحب أحداً من قبل !!

"، يبدو أن ارتباطى الوهمي ، حرك المياه الراكدة ، وجعلها تتخلي عن عقلانيتها ، وتدخل مبارزة الحب بسلاح الكلام ،

لماذا أستصعب أن أكذب هذه المرة ..سأقولها فقط ..نعم أحببتها كما لم أحب أحداً من قبل ، أحببتها أكثر منكِ يا نور "فهى لن تؤذينى كما فعلتِ أنتِ ، ولن تتركنى حين أحتاج إليها ، خطيبتى الوهمية هذه لن ترانى أتعذب وتعطينى ظهرها وترحل بعيداً مع آخر ..لتسعد به وتنجب منه ولداً كهذا الذى قابلته اليوم، أتظنيه شرعياً ؟ وهو مخلوق جاء من نطفة ألمي ومن رحم وجعي .

..سأقولها الآن و أنا لا اكذب ،

-نعم أحببتها كما لم أحب احداً من قبل ،

ابتسمت ابتسامة ذهول ، ثم قالت ..

-كيف ..أحببتها كل هذا الحب فجأة ، لماذا هي ؟؟

-نظرت إليها قائلاً وقلت ،

-ليس ذلك السؤال الصحيح إنما السؤال هو لماذا لا أحبها ، يجب أن يحب الإنسان الأشياء التي ستبقى معه دائماً ولا يجب عليه أن يتعلق بشيء يرحل عنه ، فيكون حينها الحزن على رحيل هذه الأشياء حماقة بدايتها كانت التعلق بها .

ابتسمت بدهاء وقالت موجهة لي ضربة قوية لم أتوقعها ..لم أخطط أن أكون مثيراً للشفقة أبداً.

قالت

عمر ... يسعدنى أن أراك سعيدا !!!

"أردت ..أن أشعر بلذة إيلا مك مرة ، أريد أن أري غيرة حمقاء منكِ حين تعرفي أن إحداهن قد اخذت مكانكِ بعد رحيلك ، ولم يظل فارغاً، مؤلم حقاً أن يفضحك لمعان الوجع في عينيك دائماً ولكني لم أتخل عن قوتى وثباتى أصبحت قادراً على المواجهة لم تعد بتلك السطوة التى كانت تمتلكها لن ينعقد لسانى عن الكلام ولم يرتجف قلبى كما ظننت، الأشياء التى نخافها وهى بعيدة عنا نكتشف حين نواجهها كم هي هشة وعادية . فسبحان من جعل قلبى لم ينبض إلا لكِ، وسبحان من جعل حياتى تمضي بعد رحيلك، وسبحان من جعلنى أقابلك اليوم وأنا قادر على مواجهتك دون أن أفقد صلابتى ...

،سألتها

- وأنتِ يا نور ، سعيدة في زواجك ،!!

قالت ، متهكمة !!

-بل زواجي سعيد بي !

- ماذا تقصدين ، أريد ان أعرف فقط أنك ما ندمت على شيء

-لا يا عمر بل تريد أن تعرف أننى ندمت ، عمر ..لتعرف أن الندم لابد منه في كل الأحوال ..سواء تزوجت من أحببت أو غيره ستندم ..ولكن على كل أنا راضية عن حياتى ..وراضية عن زوجي

وأوشكت على إلقاء قصيدة مدح لزوجها وحياتها معه

أشرت بيدى لها فسكتت وقلت:

-لا يتكلم عن علاقته إلا من يشعر فيها بالنقص ..ولا تمدح الأنثي في الشخص الذي ارتبطت به الا لتخفى تلك الغصة التي في حلقها بسببه ، .. السعداء دائماً ما يستمتعون بصمت..

اتسعت عيناها من كلامى الذى يعتبر تكذيبا غير صريحاً لكلامها ثم قالت بعد أن ارتدت رداء الجرأة :

- أنت أيضاً تكذب بشأن خطيبتك لو كنت سعيداً لن تخبرنى عنها ، هذا إن كانت خطيبتك موجودة حقا ولم تخترعها لتخفى شيئاً آخر كنت تفعله هنا ،

ابتسمت لكلماتها وقلت ..

-لن تكونى دائماً محققةيا نور ، ومع ذلك لا يهمنى إن كنت سعيدة في زواجك، أم لا،فهذا لا يخصنى ،

قالت بيأس

-يا عمر ..لكلٍ خيباته ..دعنى احتفظ بخيباتى لنفسي ولكنى سأخبرك الشيئ الذى تظن أنك تحتاج لمعرفته ، بعد الزواج ماضينا يفقدنا روعة الأشياء .. لن تكون سعيداً لو عرفت أننى أتعذب فى بعدك ..ولن تكون سعيداً أيضاً لو عرفت أننى سعيدة ولذلك أريد أن أكلمك قليلاً بلغة العقل

"يبدو أن الجميع أصبح يتقن لغة العقل هذه إلا أنا لم أتقنها بعد، ألهذا يتعايش الناس مع هذه الحياة ببساطة دون هذا التعقيد الذى يحيط بي في كل شيء !

تابعت كلامها ...

-لماذا لم تمض حياتك وتستمروتغلق صفحتى كما فعلت!!

قلت لها

-أبهذه البساطة !!

-ولم التعقيد، عمر لو إنفصلت عن زوجى هل ستقبل الزواج بي ،لم تعطنى الفرصة لأفكر فاجابت نفسها قائلة :

لن تقبل بالزواج مني أنا أعرف ذلك جيداً فلماذا تبنى مدينة حزن حولك وتعيش فيها وتجعلنى أيضاً ملكتها .. لماذا تربط الأشياء بشخص لن ترتبط به يوماً !!!

أخرجنى من حياتك ، كما اخرجتك من حياتى ..لا تبالغ فى حزنك ولا تبالغ فى ظلمي ، الحب ليس ميثاقاً كما تظن ..الحب طاقة قد تنتهى أو تضعف .. الحب رصيد قد ينفذ ، من حقى أن أتوقف عن حبك طالما رأيت أنه يجعلنى شخص سيء شخص لا أريد أن أكونه، من حقى أن أتوقف عن حب أى شخص طالما لم يجلب لى هذا الحب سوي مزيداً من التعب ،

قلت مدافعا عن نفسي

-هل تسلبين مني الحق فى أن أحزن على رحيل شخص أحببته

قالت متهكمة

- الحزن، وهل الحزن المستمرسوي حماقة ممزوجة بالضعف ،

وتابعت

، لا أنكر أننى كنت قاسية معك ولكن لو كنت أنت مكانى لفعلت نفس الشيء ... ستختار النجاة بنفسك من مهلكة الحب المستحيل ..ثم أنت لم تقدم.. ...

رفعت يدي وأشرت أن تتوقف عن الكلام ثم بدأت بالتصفيق تهكماً على كلامها وقلت

-جميلة محاضرتك هذه ولكن أريد أن أضع لها عنوان مناسب

"نظرت باستغراب كأنها تقول أية عنوان ؟

قلت :

-كيف تقتل أحدهم "فقداً" وتتهكم على دموعه الذي ينزفها عند الفقدان ..

-قتل ..لازلت تبالغ فى الأمرياعمر..

تملكنى الغضب من سخريتها من حزنى وقلت لها بعصبية ..

-أنا بالفعل كنت أبالغ ، ولكنى لم أبالغ فى صدقى ولم أبالغ فى حبى ولم أبالغ فى حزنى أنا فقط بالغت أنهم كانولشخص مثلك.

نعم كنت أبالغ .. ..حين فقدت ايماني وفقدت الثقة فى كل شيء كنت أبالغ ... حين قتل أبى ولم تكوني ....

توقفت عن الكلام فأنا لا أريد أن أعاتبها

قالت بذهول

- قتل أباك !! متى حدث ذلك ؟

- لا لا تهتمي بالأمر

- عمر .. متى أخبرنى !!!

وانا أدفع دموعي دفعاً أرفض من داخلى بشدة أن ابدو ضعيفاً أو منكسراً قلت لها :

- كنت أحمل أبى على عنقى ذاهبُ به إلي قبره وهم يحملون لك هدايا الزفاف السعيد، كنت أنا غريق بدمه الذى غطى جسدى من ضمي له بينما كانو يغطونك بالزينة والحناء ، كنت انا أسفل المقابر أرسم قبلة على جبين أبى قبل أن أودعه وأضع التراب على وجهه بينما كان أبيكِ يصعد إليكِ ليضع قبلة يهنئك بها على ارتباطك ، كنت ..كنت أموت والأسوأ أننى كنت أموت وحيداً كنت أحتاج لمن يغلق عينى وفمى كل ليلة !!

ردت "نور" بضحكات كئيبة

- نظرت لها شزراً وقلت لها

- يبدو أن الموضوع مثير للضحك

علت أصوات ضحكاتها

- حتى أصابنى الغضب من ذلك وقلت متهكما

-"يبدو أن موت أبى شيء مضحك لم أكن أعرف ذلك قبل الآن "

شعرت بالخجل وبدأت بالكلام

- هكذا كنت تظن بينك وبين نفسك ، لتعلم ، لقد تم زواجى في محزنة أيضاً

- محزنة !!

- نعم في نفس الشهر جاء بعض رجال الأمن ولكن لم يحملوا معهم الهدايا كما تقول بل كان معهم أساور معدنية وضعت فيها يد أبى ومازال رهن الاعتقال حتى الآن .

اتسعت عيناي من الذهول

تابعت هي قائلة

- عرفت الآن لماذا أضحك

لأول مرة أجد ألمى مضحكاً، وجعى مثيراً للسخرية

لقد كنا لعبة جيدة في يد القدر ، ذهبنا معه موقنين أن كأس الوجع قد صب لنا ، لم أشك لحظة في القدر ، حتى ولو لم أكن أعرف حكمة حدوث بعض الشر، دوماً كنت أرى نفسي البشرية ينقصها بعض التهذيب والتقويم ، كنت أحتاج أن أتالم كي أتعلم ، أحتاج أن أفقد ما أحب حتى أكتشف قيمة ما

أملك، احتجت أن أخسر ما أخاف خسارته حتى أتوقف عن الخوف ،احتجت إلى وجع كبير حتى أكون هادئا أمام الترهات الكثيرة المتكررة،

في مثل هذه اللحظات التى نشعر فيها بالتناقض في مشاعرنا يختلط فيها حزننا برغبتنا في الضحك ويختلط فيها الوجع بالسخرية والدهشة من القدر باعتيادية حدوث الأشياء

قاطعت صمتي "نورهان "قائلة

- أعرف أنك ستحول حبك الآن إلى كراهية لى !!

قلت لا طبعاً .. لا تخافي لست مستعداً أن أعطيكِ من روحي أكثر من ذلك لا حباً ولا كرهاً أريد أن أحتفظ بروحى خالية من الوجع ، أنت لروحي لستِ سوي وجع، لا يليق بكِ سوي بعض التجاهل

لن أنسي الطريقة التى نظرت بها إليها هذه اللحظة، لقد كنت كمن يهرب من وحش كاسر، من مخلوق عجيب يريد القضاء علي، كمن يفر من سحر أسود يسمى عينيها، هربت السنوات الماضية من عينيها فقط ، أخاف أن أقابلهم ولو صدفة ، فأعجز عن مواجهتها ، ولكنه يحدث الآن ها أنا ذا أقف أمام عينيكِ ولا أبكى ولا أتوسلهما البقاء، ولا أتوسلهما إنقاذي من هذا أية وجع، ها أنا ذا أقف محدقاً النظر إلي عينيكِ دون خوف بل دون تردد في مهاجمتهن بشراسة وتحدي، وأسألهما بسخرية قائلاً

لستما مخيفتين كما كنت أظن، كنت أظن أن نهايتى ستكون اللحظة التى أقف فيها أمامكِ، لماذا أشعر الآن أننى أولد من جديد أشعر أن الحياة تقتحمنى الآن كل لحظة أنظر فيها إلي عينيك أستحقر خوفي واقتله وأتخلص منه ...

أشعر أنى أطيل النظر إليكِ لأستمد طاقة أعيش بها ، يخبرنى قلبى أنني ما زلت أملك بعض الأنفاس في هذه الدنيا وأنه يريدها خالية من الوجع و الألم و الخيبة وخالية من الخوف .

"ارتديت نظارتى السوداء ونزلت على الأرض وأمسكت بكتفي " الصغير" طبعت قبلة على وجهه وأعطيته الدمية فى يده وقلت له

-هذه ليست لأمك إنها لى وهى قد سرقتها مني قديماً احتفظ بها لنفسك وعندما تقابل نور خان جديدة اعطها إياها حتى تعطيها لصغار أنجبتهم من غيرك ليعبث الجميع بأشياءك ويتقاذفونك أنت وأحلامك وأوجاعك ستصبحون مجرد هراءات بالنسبة إلى كل من حولك .

ستحاول أن تشتري حياتك من الأيام بثمن بخس تدفعه للدنيا تريد به بضعة أنفاس لروحك التي ماتت إكلينيكياً وستسأل الزمان متوسلاً إياه أن يعطيك حياة ستجوب الأرض وتفتش بين كل شيء فيها عن حياة مجرد حياة ، إلى أن

تكتشف أن من وقفوا حائلاً بينك وبين حياتك لا يشعرون بك ولم تكن أنت بالنسبةإليهم سوي حب اكتفوا منه .

قمت عنه ونظرت إليها عبرنظارتى السوداء :

- إنه الآن الوداع الحقيقى، يا "نور خان" ولكنى أريد أن أعطيكِ شيئاً ملت روحى منه ولم يعد له متسع فى حقيبة حياتى بعد ، فلتفتحى حقائبك ولتحمليه عنى ، إنها تعود إليكِ، خذى هذا إخلاصي وشوقى وحنينى ، وهذه بعض الذكريات، اكتفيت منها ومنكِ ..أريد أن أتخلص من هذا الحمل الذى أثقل ظهرى لسنوات أريد أن أستعيد قدرتى على أن أكون حراً،

أنا فقط اتسائل لماذا اخترتِ اليومَ لأراكِ فيه ، دعينى أخبركِ وإن قابلتكِ كل يوم ووقفت على كل باب أطرقه باحثا عن حريتى، باحثا عن من يستحق، وإن لم يكن حباً وعشقا فيكفيه منى أن أعامله بمقتضي المحبة الغير محدودة، بمعاهدات الإخلاص الأبدية والمودة والرحمة ..وإن لم أكن عاشق متيم له فسأعامله بمقتضيات هذا العشق لن أبخل أبداً علي هذا الذي ارتضيته نصيبى بأى شئ يوجبه العشق على العاشق، ارتاحى الان واهدأئ وحاولى أن تغادرى ذاكرتى وتأخذى معكِ جنودكِ فقد استكفيت جداً وأخذت نصيبي كاملاً غير منقوص من السهر والشوق والحنين والذكريات فليكتفوا منى فقد اكتفيتُ منهم وليبحثو عن آخر يبحث عنهم وينتظرهم ويريد أن يمضى بهم في

حياته، أما أنا فقد اخترت طريقا أصعب طريقا لا يختاره الرجل إلا بعد أن يأكل الحزن جزءاً من روحه،

بإصبعي السبابة والوسطى عند أول رأسي وبتلك الحركة التى كانت تأسرنى عندما يقوم بها الرجال في بعض الأفلام حين يودعون أحدا غير مبالين، رفعت إصبعي مودعاً إياها غير مبالياً، فقط إصبعين استطعت أن أطرح بهما هذه الذاكرة المليئة بالخيبات ، استطعت أن أجتث بهما وجود "نورهان " الوهمي ، فلم تعد منذ هذه اللحظة واقفة بينى وبين كل شيء في حياتى ، رحلت من أمامها لم أعد أحمل هذا الحمل الثقيل، انتهي سراب الحب وحنين الذكريات، أصبحت سرعة حياتى تساوي سرعة الدقائق والثوانى والساعات كنت لا أستطيع مجاراة الساعة كنت أبطا منها، الأعوام تمر بحساب الزمن بينما بحساب الذكريات لم يمر سوي دقائق الأن أصبحت أسابق الزمن وقد أسبقه ، أستطيع الآن أن أضحك دون أن أتوجع اختفت تلك الغصة فى حلقى وقع هذا الجسر الموصول بالألم وبنيت جسراً جديدا بقلب جديد وعمر جديد لأمر عليه وألحق بالحياة فى الجانب الآخر الذي طالما افتقدت أن أكون فيه جانب الحياة بلا سبب دائم للحزن . حقاً ما السعادة جملة وتفصيلاً إلا أن يكون لي فكر حر غير مقيد بمعنى أتالم منه أو بمعنى أخاف منه أو بمعنى أحذر منه على عكس ذلك يكمن الشقاء فى انغلاق الفكر فى معانى الألم والخوف والقلق

أمشي فخوراً بحريتى باكياً من فرحتى ..لا أريد أن أفعل شيئاً سوي أن أجري ، وأذهب إلى كل مكان لم أذهب إليه من قبل واشتري كاميرا والتقط لى صورة مبتسماً في كل مكان أزوره، الآن أصبحت أريد أن أسجل اللحظات لا أريدها أن تمضي بدون تقييد، اليوم خرجتُ من سجن وضعت نفسي فيه، لم أبك فرحاً قبل اليوم، لم أكن أعرف أن الحرية هى روح الانسان الحر، فلا يستطيع الحر أن يعيش عبداً حتى ولو لمجرد شعور أو فكرة أو شخصاً ،

تذكرت صديقى الذي اختفى فجأة توقعت أنه سبقنى عند بيت العروس بالتأكيد تأخرت عليهم،بدأت أفقد بعض من فرحتي حين تذكرت هذه العروس التى تنتظر ، أريد أن أستمتع بحريتى ولو قليلاً، بداخلى غرابة ووحشة من هذا الموقف، لا أعرف كيف سأتعامل مع الأمر، تدخل إلي المنزل ،يستقبلك أحدهم، أول مرة يحتضنك كما لو تربيتم سوياً والأصعب،تجلس مع أناس لا تعرفهم ،كلكم يغلبكم الحرج ، تمثلون الود..تصطنعون المعرفة ..تمثلون المحبة..تبالغون في التجمل ، ويظهر كل منكم حسناته ويواري عيوبه ..ابتسامات صفراء ،مجاملات مبالغ فيها تنتظر دخول فتاة تجلس معها 6 دقائق .كل دقيقة بعشر سنوات فبعد ال6 دقائق، ستحدد هل هى مناسبة ام لا ..لتكون زوجتك ستون عاماً هذا إن أبقت على حياتك كل هذا الوقت ،

من لم يمر بهذا الموقف لا يعرف كم يحتاج الموقف إلى الشخص الذى لا يخجل ..ليتفحص فتاة ..أمام أبيها وأمها

مشيتُ إلى الأمام قليلاً وصلت إلى البيت، فتعجبت كيف عرفته وحدي !! أنا أعرف هذا المنزل جيداً إنه منزل خالتى ، أصعد إلى الطابق الثاني وأطرق الباب تفتح لى خالتى تحتضننى وتتمتم قائلة :

- أخيراً عمر بعد هذه السنوات ...

أكاد أن أغيب عن الوعي، لا أدري مايحدث هذه أمى تجلس وتنظر لى تكاد تأكلنى تلك الفرحة في عينها، اتسعت عيناي فجأة من الذهول حين رأيت تلك الفتاة التى تجلس بجوار أمي وقلت في نفسي

- يا الله.. إنها ريهام ابنة خالتى ، التى تلح والدتي علي من أجل الإرتباط بها منذ سنوات ، أهذه المفاجأة التى وعدنى بها صديقى وكيف رتب مع والدتي ولماذا تركني الآن وذهب ، ذهبت بجوار أمى حاولت أن أبدو هادئا هناك حلقة مفقودة ولكن على أن أتماسك حتى لا أتسبب في مزيد من الحرج سألتها :

- أين عمر يا أمى كان معي بالأسفل وظننت أنه سبقنى إلى هنا

قالت أمي :

- عمر من ؟؟

قلت بابتسامة "أخبرها أننى عرفت ذلك الإتفاق بينهما"

- عمر صديقى يا أمي !!

قالت باستغراب غير مازحة

- أهو صديق جديد تعرفت عليه ؟؟

قلت :

- بل هو صديقى الذى زارنى في صومعتى اليوم، وخرجنا معاً وكنا في طريقنا إلى هنا ولكنى توقفت في الطريق لأتكلم مع إحداهن والتفت بجوارى لم أجده ..

" تغيرت نظرة أمى أعرف جيداً هذه النظرة التى تنظرها الأم لولدها حين تراه على غير ما يرام، لم يخطر ببالى أبداً أن تظن أمى أنى أري تهيؤات فحاولت خالتى أن تنهي دهشة نظراتنا فقالت :

- حين أخبرتنا أمك أنك ستأتى الليلة لتجلس مع ريهام لا تتخيل كم فرحنا بك يا عمر، فقد تربيتما سوياً وسأكون سعيدة جداً بذلك ..

"نظرت إليها مبتسماً ولم تتجاوز كلماتها أذنى فعقلى مشغول بصديقى هذا الذي اختفى فجأة والذى يعتبر الحلقة المفقودة تذكرت أننى أعرف له عنواناً فقمت فجأة وجريت نحو الباب وأمى تصرخ هى وخالتى

- ما الأمر يا عمر ماذا حدث؟؟

أخبرتهما أنني تذكرت شيئا مهماً وأننى سأعود بعد أن أنتهي منه نزلت أجري على السلم حتى كدت أن أقع راودتنى الشكوك حول أمر صديقى "عمر" و سر اختفاءه فجأة أمام البيت كانت تقف سيارة أبى القديمة التى كنت أظنها سيارة صديقى، وكنت أحمل في جيبى مفتاحها !!

قدتُ إلى العنوان ،وعند مدخل العمارة قابلنى "البواب " بترحاب كأنه يعرفنى معرفة جيدة قائلاً .

- أهلاً سيد عمر.

نظرت إليه بدهشة ولم أتكلم حاولت أن أتجاهله إلا أنه أخرج من جيبه مفتاحاً وقال لى :

- كيف ستفتح الباب، خذ هذا هو مفتاحك تركته معى اليوم ولكنى أردت أن أسألك عن شيء سيد عمر:

لم يفراقنى ذهولى بعد بينما تابع هو كلامه قائلاً:

- منذ اليوم الذى اشترى فيه والدك "رحمه الله " هذه الشقة قبل سنوات، وأنت لم تأت إليها إلا اليوم وأتيت مرتين !!

مستوي الدهشة جعلنى لا أعرف بماذا أرد، دخلت إلى المصعد ورفعت إصبعى لا أذكر تحديداً على أى طابق يجب أن أضغط !! بعد حيرة إختارت

يدي الطابق الخامس كأنها تعرفه فتحت الباب بالمفتاح الذى أعطانيه حارس المبنى يا الله إنها الشقة التى اشتراها أبى لى منذ سنوات ، أذكر اليوم الذى طلب منى والدى أن أركب السيارة معه وحين سألته عن وجهتنا قال ستعرف حين نصل، كان يعدها كمفاجئة لى، وقعت عينى على غرفة المكتب ذهبت نحوها فتحت الباب بروية وكادت عينى تسبقنى لتنظر إلى سطحه، انتفض جسدى وتسمرت مكانى قليلاً حين وقعت عينى على روايتى "نورخان " بدأت تنفصل التداخلات بدأت أفهم وأدرك وأعي أنه لا وجود لصديق اسمه عمر إنه عمر واحد فقط "عمر عمر هاشم المصري" أنا".أنا من احتاج إلى سياط عقلى تجعلنى أنتبه، أنا من قرأ قصتى بنظرة مختلفة وأنا من كتب لى هذه الرسائل التى كنت أظنها لا تصل ولكنها وصلت أنا من تعب من البقاء وحيداً، لم أستطع تحمل الموت الذى كنت كل يوم أتذوقه جرعة جرعة ونفس نفس فالفرق بيننا وبين الأموات بعض الإحساس فالموتى لا يتألمون ولا يشعرون بالخيبة ولا يشعرون باللذة ، أنا من إكتشف أن عزلتى لم تكن سوي عجز عن المواجهة ، إنه أنا الذى أراد العزلة وأنا الذى أراد أن يخرجنى منها وأنا الذى أحب نور وكرهها وأنا الذى خفت على عائش ومنها وأنا الذى قمت بثورة ولم أحافظ عليها وأنا الذي أردت ولم تكن لدي رغبة أنا القوي الضعيف جداً ، والشجاع الخائف جداً أنا الزاني العفيف جداً والقديس

المنافق جداً ..أنا الشيخ المخادع جداً أنا الصادق الكاذب جداً.أنا الذى لم يؤذه إلا نفسه ومازلت أشفق عليها ،

مشيت نحو المكتب وأمسكت بروايتى " نورخان " ضممت هذه الوريقات إلى صدري ثم علت ضحكاتى ، الممزوجة بدموعي، أصدق الدموع هي تلك التى ننزفها فرحاً ، وأعظم الفرح فرحة الشفاء فرحة البرء من العجز والضعف فرحة كسر سلاسل قيدتك بها الأحداث فرحة التخلص من وهم التعلق بما ليس هناك سبيل للوصول إليه، إنها فرحة تستحق أن تقاتل الجميع عليها حتى نفسك وقلبك ، تستحق هذه الفرحة أن تقسو على نفسك بعض الوقت .

"كن لنفسك كل شيء "هذه ليست نصيحة إنها حقيقة ..إنك بالفعل لنفسك كل شيء ، إنك دون أن تدري تحمل حزنك وفرحك في داخلك ، فحسب نظرتك للأشياء من حولك تخرج أيهما أردت ، ،أنت من يري الخيبات إنتصارات والإنتصارات خيبات قد تري العالم كله قاسٍ جداً عليك ثم تكتشف أنك لا تحتاج إلى هذا العالم في شيء ، أنت من تري أن الأمر لابد أن يحدث بهذه الطريقة وأنت أيضاً قد لا تبالى بأى طريقة سيحدث الأمر بل لا تبالى أصلاً إن حدث الأمر أم لا ،

حتماً ستنتهى حياتك ..وحين تقترب النهاية من عينيكَ ..ويمر شريط حياتك كلها أمامك.ستندم كثيراً ، واكثر ما ستندم عليه ..هو الندم نفسه،احساسك أنك لم تبلى حسنا دائماً، أنه كان يجب أن تقول ما لم تقل، .وما كان يجب أن تقول هذا الكلام الذي قلته، ما كان يجب أن تبكى هنا ، ولا أن تضحك هناك ،ما كان يجب أن تفعل ما فعلت، تلك السياط التي جلدت بها نفسك يوميا حتى أنك لا تذكر يوماً لم تندم فيه على شيء ما .

يوم فقدت حلمك بأن تصبح شيئاً طالما رغبت أن تكونه ، أو لم تمتلك شيئاً ما، تمنيت في كل نفس تنفسته أن تمتلكه يوماً ما ، حزنت كثيراً ، وندمت معتقداً أنك لم تفعل ما كان ينبغي فعله، وبعد فترة اكتشفت أنه لا فائدة من هذا الندم فندمت على ندمك أكثر من ضياع حلمك وحزنك عليه ،

فلتتوقف الآن عن جلد ذاتك كل لحظة ، صاحب نفسك ،ولا تكن أنت الآخر عدوا لها،فعلت ما فعلته وقلت ما قلته ..انتهي الأمر، رفعت الأقلام وجفت الصحف ..

تمت

"بالفعل كان حملاً ثقيلاً"

فتوح شعبان

رواية

نورخان "مصرمناخ لا يحتمل الحب"

فتوح شعبان

للمناقشة تواصل مع الكاتب من خلال حسابه على الفيس بوك ..

FB.fotoh shapan

اعتذار واجب

لكل شخص آذيته في حياتى أعتذر إليك بالله لم أقصد مرة أن أؤذي أحداً

ولك شخص آذاني وحاول كسري أعتذر إليكَ أيضاً فأنا مستمرُ في حياتى

ولم أنكسر بعد ...

أباحفص.....